جمعية أنصار السنة
فـــرع بلبيـــس
اللجنـــة العلميـــة

كتاب الواعظ

٣ ـ ٤

ربيع أول، وربيع الآخر ١٤٣٨هـ

إشراف

صبري بن محمد عبد المجيد

أحمد بن سليمان أيوب

إعــداد

اللجنة العلمية

شواهد المحبة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله محمد ﷺ وبعد،

فإن العبادة إِنَّمَا تبنى عَلَى ثلاثة أصول: الخوف والرجاء والمحبة.

وكل منهما فرض لازم، والجمع بين الثلاثة حتم واجب، فلهذا كان السَّلف يذمون من تعبد بواحد منها وأهمل الآخرين؛ فإن بدع الخوارج ومن أشبههم إِنَّمَا حدثت من التشديد في الخوف والإعراض عن الرجاء، وبدع المرجئة نشأت من التعليق بالرجاء وحده والإعراض عن الخوف، وبدع كثير من أهل الإباحة والحلول ممن ينسب إِلَى التعبد، نشأت من إفراط المحبة والإعراض عن الخوف والرجاء.

إن الخلل في تحقيق هذه الأصول الثلاثة ترتب عليه خلل عقدي وعملي عظيم، ولك أن تنظر إلى واقع الأمة الإسلامية اليوم لترى شواهد هذا الخلل.

فمن شدد في الخوف تبنى مذهب الإسقاط والتخوين لمن خالفه، فظهرت مذاهب قامت على التكفير والتبديع لمن خالفها في أي جزئية من جزئيات تعمقوا فيها،

وآخرين غلوا في الرجاء فأهملوا أعمال الشريعة وواجباتها وسننها، ويااليت الأمر وقف عند هذا التطرف، بل زادت على ذلك فأعلنت النكير على المتمسكين بسنن المرسلين والتبرؤ من السمت الصالح القويم بل ألبسوا المتدينين نحلة المتطرفين ورموهم بكل وصف يزعج المؤمنين

وهم مع ذلك يصاحبون الساقطين ويمازحون المجرمين ويثنون على الفاسقين، ومنهم من يصفهم بالأتقياء الصالحين وهؤلاء كثر لا كثر الله منهم في البلاد.

وثالثة الأثافي مع الغارقين في الوجد والتيه جعلوا العبادة دعاوى، يدعون المحبة وهم منها في منأى قد هجروا الإصلاح وابتعدوا عن الصلاح وما الدين عندهم إلا رقص وأفراح.

ولهذا فهم أسعد الناس بالعطايا قد رضي المجرمون منهم التعبد بالخطايا فعليهم من الله المنايا.

فأهل محبة الله لهم علامات يعرفون بها ومنها كما قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} [المائدة: ٥٤].

لله تعالى أولياء وناصرون مدخرون في علم الله إن ينصرف هؤلاء يجيء الله بهؤلاء يقومون بكل ما تركه أولئك

فيا معشر الدعاة إلى الله إن أوقفك الله لنصرة دينه والدعوة له إياك أن تتخلى عن هذا التشريف فإن توليت استبدلك الله بخير منك {وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ} (محمد: ٣٨)

فوصف الله تعالى أهل محبته في هذه الآية بأوصاف أربعة:

الأول: الذلة على المؤمنين، والمراد لين الجانب وخفض الجناح والرأفة والرحمة للمؤمنين، كما قال تعالى لرسوله: {وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} فهم يتواضعون للمؤمنين ويرحمونهم كالوالد مع ولده

الثاني: العزة على الكافرين، والمراد الشدة والغلظة عليهم، كما قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ} فالعداوة نشأت من اختلاف العقائد وليس من علو الموائد فبغضنا لهم لله وحده

الثالث: الجهاد في سبيل الله وهو مجاهدة أعدائه باليد واللسان، وذلك أيضاً من تمام معاداة أعداء الله الَّذِي تستلزمه المحبة، ولما ترك المسلمون هذه الفريضة سلط الله عليهم ذلا نراه اليوم ماثلا أمامنا في كثير من بلاد المسلمين

الرابع: أنهم لا يخافون لومة لائم، والمراد أنهم يجتهدون فيما يرضى به من الأعمال ولا يبالون بلومة من لامهم في شيء منه إذا كان فيه رضا ربهم.

وهذا من علامات المحبة الصادقة، وإن المحب يشتغل بما يرضي به حبيبه ومولاه، ويستوي عنده من حمده في ذلك أو لامه، [١]

فاجعل غايتك رضاء ربك وإن سخطك الناس ولاموك فرضى الناس غاية لا تدرك فعليك بما فيه نجاتك وفلاحك في الآخرة، واعلم أنك إن امتثلت ذلك حول الله قلوب الناس إليك فانقلب الذَّامُّ لك بعدها حامدًا.

وصلى الله على النبي محمد وآله وأصحابه
والحمد لله أولا وآخرًا.

كتبه
أحمد بن سليمان

(١) وانظر في ذلك رسالة الحافظ ابن رجب استنشاق نسيم الأنس من نفحات رياض القدس.

محمد رسول الله ﷺ

أكرم الله نبيه ﷺ بفضائل جمّة، وصفات عدة، فأحسن خلْقَه وأتم خُلُقه، حتى وصفه تعالى بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: ٤)، ومنحه ﷻ فضائل عديدة، وخصائص كثيرة، تميز بها ﷺ عن غيره، فضلًا عن مكانة النبوة التي هي أشرف المراتب.

ما أكرمه عبدًا وسيدًا، وأعظمه أصلا ومَحْتِدا، وأطهره مضجعًا ومولدًا، وأبهرَه صدرًا وموردًا. صلى الله عليه وعلى آله وصحبه غيوث الندى، وليوث العدا، صلاة وسلاما دائمين إلى أن يبعث الناس غدًا.

مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ قُصَيِّ بْنِ كِلاَبِ ابْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعبِ بْنِ لؤَيِّ بْنِ غالِبِ بْنِ فِهْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ بْنِ خُزَيْمَةَ بْنِ مُدْرِكَةَ بْنِ إِلْيَاسَ ابْنِ مُضَرَ بْنِ نِزَارِ بْنِ مَعَدِّ بْنِ عَدْنَانَ. (١)

إلى هنا معلوم الصحة ومتفق عليه بين النسَّابين، ولا خلاف أن عدنان من وَلَدِ إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام.

فنبينا محمد ﷺ خير أهل الأرض نسبًا على الإطلاق، فأشرف القوم قومه، وأشرف القبائل قبيلته.

عن وَاثِلَةَ بْنَ الْأَسْقَعِ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: **" إِنَّ الله اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ "**. (٢)

---

(١) البخاري كتاب مناقب الأنصار باب ٢٨.
(٢) مسلم (٢٢٧٦).

ونتناول في الأسطر التالية شيئًا يسيرًا من فضائله ﷺ.

أنه ﷺ أولى بالمؤمنين من أنفسهم: قال تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾ (الأحزاب: ٦).

قال الشوكاني: فإذا دعاهم النبي ﷺ لشيء ودعتهم أنفسهم إلى غيره، وجب عليهم أن يقدموا ما دعاهم إليه، ويؤخروا ما دعتهم أنفسهم إليه، ويجب عليهم أن يطيعوه فوق طاعتهم لأنفسهم، ويقدموا طاعته على ما تميل إليه أنفسهم، وتطلبه خواطرهم.[١]

أنه ﷺ سيد ولد آدم: عن أبي هريرة ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **" أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ "**.[٢]

أنه ﷺ أمان لأمته: وعن أبي موسى الأشعري ﷺ أن النبي ﷺ قال **" النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ وَأَنَا أَمَنَةٌ لأصحابي فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أصحابي مَا يُوعَدُونَ وأصحابي أَمَنَةٌ لأمتي فَإِذَا ذَهَبَ أصحابي أَتَى أمتي مَا يُوعَدُونَ"**.[٣]

أنه ﷺ خاتم الأنبياء: قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا﴾ (الأحزاب: ٤٠)، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: **" إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قبلي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، إِلاَّ مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ هَلاَّ وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ قَالَ فَأَنَا اللَّبِنَةُ، وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ "**.[٤]

أن رسالته ﷺ عامة للناس جميعًا: عن جابر بن عبد الله ﷺ أَنَّ النبي ﷺ قَالَ: **" أُعْطِيتُ**

---

(١) فتح القدير ١٨/٦.

(٢) مسلم (٢٢٧٨)

(٣) مسلم (٢٥٣١).

(٤) البخاري (٣٥٣٥)، مسلم (٢٢٨٦).

خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قبلي نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أمتي أَدْرَكَتْهُ الصَّلاَةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي الْمَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لأَحَدٍ قبلي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النبي يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً". (١)

أخذ الله له ﷺ العهد على جميع الأنبياء: من الأمور التي تدل على عظيم قدره ﷺ عند ربه ما أخذه الله من العهد له ﷺ على جميع الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام على أنه لو بعث ﷺ وهم أحياء أو أحد منهم فإنه يجب عليهم أن يؤمنوا به ويتبعوه وينصروه. قال تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِىۖ قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَاۚ قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾

قرنه ﷺ خير قرون بني آدم: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: **" بُعِثْتُ مِنْ خَيْرِ قُرُونِ بني آدَمَ قَرْنًا فَقَرْنًا، حَتَّى كُنْتُ مِنَ الْقَرْنِ الذي كُنْتُ فِيهِ ".** (٢)

وعَنْ عَبْدِ الله رضي الله عنه عَنِ النبي ﷺ قَالَ: **" خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي".** (٣)

أنه ﷺ خليل الرحمن: عَنْ عَبْدِ الله قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **" أَلاَ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى كُلِّ خِلٍّ مِنْ خِلِّهِ وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا لاَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا إِنَّ صَاحِبَكُمْ خَلِيلُ الله ".** (٤)

وهذه الفضيلة لم تثبت لأحد غير نبينا وإبراهيم الخليل عليهما الصلاة والسلام.

أن الله رفع له ذكره ﷺ: قال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ (الشرح: ٤) فلا يذكر

---

(١) البخاري (٣٣٥)، مسلم (٥٢١).

(٢) البخاري (٣٥٥٧).

(٣) البخاري (٢٦٥٢)، مسلم (٢٥٣٣).

(٤) مسلم (٢٣٨٣).

سبحانه إلا ذكر معه، ولا تصح للأمة خطبة ولا تشهد حتى يشهدوا أنه عبده ورسوله، وأوجب ذكره في كل خطبة، وفي الشهادتين اللتين هما أساس الإسلام وفي الأذان الذي هو شعار الإسلام وفي الصلاة التي هي عماد الدين إلى غير ذلك من المواضع.

أن الله وقره في ندائه، فناداه بأحب أسمائه وأوصافه ﷺ: فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾ وهذه الخصيصة لم تثبت لغيره، بل ثبت أن كلا منهم نودي باسمه فقال تعالى: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ﴾ ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ﴾ ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ ﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ﴾ ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ﴿يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَا﴾ ﴿يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ﴾ ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ﴾ ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ﴾ ولا يخفي على أحد أن السيد إذا دعي أحد عبيده بأفضل ما وجد فيه من الأوصاف العلية والأخلاق السنية، ودعا الآخرين بأسمائهم الأعلام التي لا تشعر بوصف من الأوصاف ولا بخلق من الأخلاق، دل ذلك على أن منزلة من دعاه بأفضل الأسماء والأوصاف أعز عليه وأقرب إليه ممن دعاه باسمه العلم. وهذا معلوم بالعرف أن من دعي بأفضل أوصافه وأخلاقه كان ذلك مبالغة في تعظيمه واحترامه.

النهي عن مناداته باسمه ﷺ: فقال الله تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾(النور: ٦٣)

لا يرفع صوت فوق صوته ﷺ: إن الله نهي الأمة أن يرفعوا أصواتهم فوق صوته ﷺ ولا يجهروا له بالقول - كما هو الحال بين الناس- حتى لا تحبط أعمالهم فقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾﴾ (الحجرات: ٢).

رسول الله رائد حياة الأخلاق:

فهذه إشارات سريعة إلى أخلاق سيد المتخلقين بمكارم الأخلاق صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

وإننا مهما تكلمنا ومهما كتبنا في هذا الموضوع لا نستطيع أن نوفي قدر النبي ﷺ، فهو رائد حياة الأخلاق الكريمة، وهو الذي عَلَّم الدنيا محاسن الأخلاق، فلولاه بعد الله تخبط الناس في الجهل والغفلة والعمى، وصدق الله إذ يقول: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧).

وقد زَكَّى الله تبارك وتعالى نبيه ﷺ في كل شيء. ومن زكاه ربه فلا يجوز لأحد من أهل الأرض قاطبة أن يظن أنه يأتي في يوم من الأيام ليزكيه، بل إن أي أحد وقف ليزكي رسول الله ﷺ وليصف رسول الله ﷺ وليتكلم عن قدر رسول الله ﷺ، فإنما يرفع من قدر نفسه، ومن قدر السامعين بحديثه عن الحبيب المصطفى ﷺ. ولنعلم أنه لا يعرف أحد قدر النبي ﷺ إلا الرب العلي ﷻ ولذا:

زَكَّاه ربه في عقله فقال: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ﴾ (النجم: ٢).

وزَكَّاه في بصره فقال: ﴿مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ (النجم: ١٧).

وزكاه في صدره فقال: ﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ﴾ (الشرح: ١).

وزكاه في ذكره فقال: ﴿وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ﴾ (الشرح: ٤).

وزكاه في طُهره فقال: ﴿وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ﴾ (الشرح: ٢).

وزكاه في صدقه فقال: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ﴾ (النجم: ٣).

وزكاه في علمه فقال: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ﴾ (النجم: ٥).

وزكاه في حلمه فقال: ﴿بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ (التوبة: ١٢٨).

وزكاه في خلقه كله فقال جل وعلا: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ﴾ (القلم: ٤) ﷺ.

ومما زادني فخرًا وتيها وكدت بأخمصي أطأ الثريا

دخولي تحت قولك يا عبادي وأن سيرت أحمد لي نبيا.

قال القاضي عياض: اعلم أيها المحب لهذا النبي الكريم ﷺ الباحث عن تفاصيل جمل قدره العظيم أن خصال الجمال والكمال في البشر نوعان: ضروري دنيوي اقتضته الجبلة وضرورة الحياة الدنيا، ومكتسب ديني وهو ما يحمد فاعله ويقرب إلى الله تعالى زلفى.

فأما الضروري المحض فما ليس للمرء فيه اختيار ولا اكتساب، مثل ما كان في جلبته من كمال خلقته، وجمال صورته، وقوة عقله، وصحة فهمه، وفصاحة لسانه، وقوة حواسه وأعضائه، واعتدال حركاته، وشرف نسبه، وعزة قومه، وكرم أرضه، ويلحق به ما تدعوه ضرورة حياته إليه، من غذائه ونومه، وملبسه ومسكنه، ومنكحه، وماله وجاهه. وقد تلحق هذه الخصال الآخرة بالأخروية إذا قصد بها التقوى ومعونة البدن على سلوك طريقها، وكانت على حدود الضرورة وقواعد الشريعة.

وأما المكتسبة الأخروية فسائر الأخلاق العلية، والآداب الشرعية: من الدين، والعلم، والحلم، والصبر، والشكر، والعدل، والزهد، والتواضع، والعفو، والعفة، والجود، والشجاعة، والحياء، والمروءة، والصمت، والتؤدة، والوقار، والرحمة، وحسن الأدب، والمعاشرة، وأخواتها، وهى التي جماعها: حسن الخلق.[1]

قال أنس ﷺ: "كَانَ رَسُولُ الله ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا".[2]

وهذه باقة متوجة من أخلاق النبي ﷺ.

حلمه وعفوه واحتماله وصبره ﷺ.

---

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ١/ ٧٦.

(٢) البخاري (٦٢٠٣)، مسلم (٢١٥٠).

حلمه وعفوه واحتماله وصبره ﷺ، كلها معانٍ متقاربة، وهذا كله مما أدب الله به نبيه ﷺ فقال: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ (الأعراف: ١٩٩). وقال عبد الله بن الزبير: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾ قال: "مَا أَنْزَلَ الله إِلَّا فِي أَخْلَاقِ النَّاسِ"(١). وقال أيضا: أَمَرَ الله نَبِيَّهُ ﷺ أَنْ يَأْخُذَ الْعَفْوَ مِنْ أَخْلَاقِ النَّاس. (٢)

وقال تعالى لنبيه: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾﴾ (لقمان: ١٧).

ولا خفاء بما يؤثر من حلمه واحتماله، وأن كل حليم قد عرفت منه زلة وحفظت عنه هفوة وهو ﷺ لا يزيد مع كثرة الأذى إلا صبرًا، وعلى إسراف الجاهل إلا حلمًا. (٣)

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّهَا قَالَتْ: "مَا خُيِّرَ رَسُولُ الله ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا؛ فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ، وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ الله ﷺ لِنَفْسِهِ إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ الله فَيَنْتَقِمَ للهِ بِهَا". (٤)

والحديث في بيان حلمه ﷺ كثير. فَعَنْ جَابِرٍ أخبر أَنَّهُ غَزَا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ قِبَلَ نَجْدٍ فَلَمَّا قَفَلَ رَسُولُ الله ﷺ قَفَلَ مَعَهُ فَأَدْرَكَتْهُمْ الْقَائِلَةُ فِي وَادٍ كَثِيرِ الْعِضَاهِ، فَنَزَلَ رَسُولُ الله ﷺ وَتَفَرَّقَ النَّاسُ يَسْتَظِلُّونَ بِالشَّجَرِ، فَنَزَلَ رَسُولُ الله ﷺ تَحْتَ سَمُرَةٍ وَعَلَّقَ بِهَا سَيْفَهُ وَنِمْنَا نَوْمَةً، فَإِذَا رَسُولُ الله ﷺ يَدْعُونَا وَإِذَا عِنْدَهُ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ: إِنَّ هَذَا اخْتَرَطَ عَلَيَّ سَيْفِي وَأَنَا نَائِمٌ فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ فِي يَدِهِ صَلْتًا، فَقَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ فَقُلْتُ: الله ثَلَاثًا وَلَمْ يُعَاقِبْهُ وَجَلَسَ. (٥)

---

(١) البخاري (٤٦٤٣).

(٢) البخاري (٢٦٤٤).

(٣) انظر الشفا ١/١١٨ بتصرف.

(٤) البخاري (٣٥٦٠)، مسلم (٢٣٢٧).

(٥) البخاري (٢٩١٠)، مسلم (٨٤٣).

وعَنْ أنس قَالَ: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ الله ﷺ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَبَذَهُ بِرِدَائِهِ جَبْذَةً شَدِيدَةً حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ رَسُولِ الله ﷺ قَدْ أَثَّرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ الْبُرْدِ مِنْ شِدَّةِ جَبْذَتِهِ ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، مُرْ لِي مِنْ مَالِ الله الَّذِي عِنْدَكَ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ رَسُولُ الله ﷺ ثُمَّ ضَحِكَ ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ. (١)

والحديث عن حلمه عليه الصلاة والسلام، وصبره، وعفوه عند القدرة؛ أكثر من أن تأتي عليه وحسبك ما ذكرناه مما في الصحيح وغيره إلى ما بلغ متواترا مبلغ اليقين: من صبره على مقاساة قريش وأذى الجاهلية ومصابرته الشدائد الصعبة معهم إلى أن أظهره الله عليهم وحكمه فيهم وهم لا يشكون في استئصال شأفتهم وإبادة خضرائهم فما زاد على أن عفا وصفح، صلوات ربي وسلامه عليه. (٢)

جوده وكرمه وسخاؤه وسماحته ﷺ:

كان ﷺ لا يوازَى في هذه الأخلاق الكريمة ولا يبارى بهذا وصفه كل من عرفه. عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله قَالَ: مَا سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ شَيْءٍ قَطُّ فَقَالَ لَا. (٣)

وعَنْ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ، وَأَجْوَدَ النَّاسِ، وَأَشْجَعَ النَّاسِ، وَلَقَدْ فَزِعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَانْطَلَقَ النَّاسُ قِبَلَ الصَّوْتِ فَاسْتَقْبَلَهُمْ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ سَبَقَ النَّاسَ إِلَى الصَّوْتِ وَهُوَ يَقُولُ: لَنْ تُرَاعُوا لَنْ تُرَاعُوا وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ لِأَبِي طَلْحَةَ عُرْيٍ مَا عَلَيْهِ سَرْجٌ فِي عُنُقِهِ سَيْفٌ، فَقَالَ: لَقَدْ وَجَدْتُهُ بَحْرًا أَوْ إِنَّهُ لَبَحْرٌ. (٤)

---

(١) البخاري (٥٨٠٩)، مسلم (١٠٥٧).

(٢) انظر الشفا ١/١٢٣ بتصرف.

(٣) البخاري (٦٠٣٤).

(٤) البخاري (٦٠٣٣)، مسلم (٢٣٠٧).

قال النووي: في هذا كله بيان عظيم سخائه وغزارة جوده ﷺ. (١)

حتى قبل أن يبعث ﷺ فقد قال له ورقة بن نوفل: إِنَّكَ تَحْمِلُ الْكَلَّ، تَكْسِبُ الْمَعْدُومَ. (٢)

حياؤه وعدم مواجهة الناس بالعتاب ﷺ: وكان النبي ﷺ أشد الناس حياءً وأكثرهم عن العورات إغضاء، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِۦ مِنكُمْ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ (الأحزاب: ٥٣). (٣)

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِي قال: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً مِنْ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا وَكَانَ إِذَا كَرِهَ شَيْئًا عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ. (٤) ومحل وجود الحياء منه ﷺ في غير حدود الله. (٥)

وَعَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو قَالَ: لَمْ يَكُنْ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا، وَقَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحَاسِنكُمْ أَخْلَاقًا. (٦)

وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: " كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا بَلَغَهُ عَنْ الرَّجُلِ الشَّيْءُ لَمْ يَقُلْ: مَا بَالُ فُلَانٍ يَقُولُ، وَلَكِنْ يَقُولُ: مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَقُولُونَ كَذَا وَكَذَا". (٧)

حسن عشرته وأدبه وبسط خلقه مع أصناف الخلق ﷺ: قال الله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ (آل عمران: ١٥٩). وقال تعالى:

---

(١) شرح النووي على مسلم ٨/ ٨١.
(٢) البخاري (٣)، مسلم (١٦٠).
(٣) الشفا ١/ ١٢٩.
(٤) البخاري (٦١٠٢)، مسلم (٢٣٢٠) واللفظ له.
(٥) فتح الباري ٦/ ٦٥٠.
(٦) البخاري (٣٥٥٩)، مسلم (٢٣٢١).
(٧) صحيح. رواه أبو داود في سننه (٤٧٨٨)، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٠٦٤).

﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ (المؤمنون: ٩٦). وقَالَ أَنَسٌ ﷺ: " خَدَمْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ فَمَا قَالَ لِي أُفٍّ قَطُّ، وَمَا قَالَ لِشَيْءٍ صَنَعْتُهُ لِمَ صَنَعْتَهُ؟ وَلَا لِشَيْءٍ تَرَكْتُهُ لِمَ تَرَكْتَهُ؟ وَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا". (١)

عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ الله ﷺ قَالَ: مَا حَجَبَنِي النَّبِيُّ ﷺ مُنْذُ أَسْلَمْتُ، وَلَا رَآنِي إِلَّا تَبَسَّمَ فِي وَجْهِي، وَلَقَدْ شَكَوْتُ إِلَيْهِ أَنِّي لَا أَثْبُتُ عَلَى الْخَيْلِ فَضَرَبَ بِيَدِهِ فِي صَدْرِي وَقَالَ: **اللهمَّ ثَبِّتْهُ وَاجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا**. (٢)

وكان ﷺ يمازح أصحابه، ويخالطهم، ويحادثهم، ويداعب صبيانهم ويجلسهم في حجرة، ويجيب دعوة الحر والعبد والأمة والمسكين، ويعود المرضى في أقصى المدينة، ويقبل عذر المعتذر. (٣)

عَنْ أَنَسٍ قَالَ: مَا رَأَيْتُ رَجُلًا الْتَقَمَ أُذُنَ رَسُولِ الله ﷺ فَيُنَحِّي رَأْسَهُ حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ هُوَ الَّذِي يُنَحِّي رَأْسَهُ وَمَا رَأَيْتُ رَجُلًا أَخَذَ بِيَدِهِ فَتَرَكَ يَدَهُ حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ هُوَ الَّذِي يَدَعُ يَدَهُ. (٤)

وكان يبدأ من لقيه بالسلام ويبدأ أصحابه بالمصافحة لم ير قط مادًا رجليه بين أصحابه حتى يضيق بهما على أحد، يكرم من يدخل عليه وربما بسط له ثوبه ويؤثره بالوسادة التي تحته ويعزم عليه في الجلوس عليها إن أبى ويكنى أصحابه ويدعوهم بأحب أسمائهم تكرمة لهم ولا يقطع على أحد حديثه حتى يتجوز فيقطعه بنهي أو قيام. (٥)

---

(١) صحيح. رواه أبو داود في سننه (٤٧٧٤)، والترمذي في سننه (٢٠١٥) وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأحمد في المسند ٣/١٩٧، واللفظ للترمذي، وصححه الألباني في مختصر الشمائل (٢٩٦).

(٢) البخاري (٢٨٧٨)، مسلم (٢٤٧٥).

(٣) انظر الشفا ١/١٣٤.

(٤) أبو داود (٤٧٩٤)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٤٨٥).

(٥) انظر الشفا ١٣٥.

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: إِنْ كَانَتْ الْأَمَةُ مِنْ إِمَاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَتَأْخُذُ بِيَدِ رَسُولِ الله ﷺ فَتَنْطَلِقُ بِهِ حَيْثُ شَاءَتْ. (١)

قال ابن حجر: والمقصود من الأخذ باليد لازمه وهو الرفق والانقياد، وقد اشتمل على أنواع من المبالغة في التواضع لذكره المرأة دون الرجل، والأمة دون الحرة، وحيث عمم بلفظ الإماء أي أمة كانت وبقوله: (حَيْثُ شَاءَتْ) أي من الأمكنة. (٢)

شفقته ورأفته ورحمته ﷺ: قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة: ١٢٨). وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧). عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ الله ﷺ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَبَذَهُ جَبْذَةً حَتَّى رَأَيْتُ صَفْحَ أَوْ صَفْحَةَ عُنُقِ رَسُولِ الله ﷺ قَدْ أَثَّرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ الْبُرْدِ مِنْ شِدَّةِ جَبْذَتِهِ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَعْطِنِي مِنْ مَالِ الله الَّذِي عِنْدَكَ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ فَضَحِكَ ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ. (٣)

ولما حصل له ما حصل في الطائف وكذبه قومه وسال دمه الشريف جاءه جبريل فقال: إِنَّ الله قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ فَقَالَ ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمْ الْأَخْشَبَيْنِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **" بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ الله مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ الله وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا"**. (٤)

---

(١) البخاري (٦٠٧٢).

(٢) فتح الباري لابن حجر ١٠/٥٥٢.

(٣) البخاري (٥٨٠٩)، مسلم (١٠٥٧).

(٤) البخاري (٣٢٣١)، مسلم (١٧٩٥).

تواضعه ﷺ: وأما عن تواضعه ﷺ فعلى علو منصبه ورفعة رتبته فكان أشد الناس تواضعا

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ سَمِعَ عُمَرَ ﷺ يَقُولُ عَلَى الْمِنْبَرِ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: **لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ فَقُولُوا: عَبْدُ الله وَرَسُولُهُ.** (١)

والإطراء هو المدح بالباطل تقول: أطريت فلانا مدحته فأفرطت في مدحه. (٢)

وكان ﷺ يركب الحمار ويردف خلفه ويعود المساكين ويجالس الفقراء ويجيب دعوة العبد ويجلس بين أصحابه مختلطا بهم حيثما انتهى به المجلس جلس. (٣)

عَنْ أَنَسٍ قال جاء رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ: يَا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **ذَاكَ إِبْرَاهِيمُ** عليه السلام. (٤)

قال النووي: قال العلماء: إنما قال ﷺ هذا تواضعا واحتراما لإبراهيم ﷺ لخلته وأبوته وإلا فنبينا ﷺ أفضل. (٥)

وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ ﷺ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ تَعْنِي خِدْمَةَ أَهْلِهِ، فَإِذَا حَضَرَتْ الصَّلَاةُ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ. (٦)

عَنْ عَمْرَةَ قَالَتْ: قِيلَ لِعَائِشَةَ: مَا كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ، قَالَتْ: كَانَ بَشَرًا

---

(١) البخاري (٣٤٤٥).
(٢) فتح الباري ٦/ ٥٥١.
(٣) انظر الشفا ١/ ١٤٤.
(٤) مسلم (٢٣٦٩).
(٥) شرح النووي ٨/ ١٣٥.
(٦) البخاري (٦٧٦).

مِنَ الْبَشَرِ، يَفْلِي ثَوْبَهُ، يَحْلِبُ شَاتَهُ، وَيَخْدِمُ نَفْسَهُ. (١) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: إِنْ كَانَتْ الْأَمَةُ مِنْ إِمَاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَتَأْخُذُ بِيَدِ رَسُولِ الله ﷺ فَتَنْطَلِقُ بِهِ حَيْثُ شَاءَتْ. (٢)

قال ابن حجر: وقد اشتمل على أنواع من المبالغة في التواضع لذكره المرأة دون الرجل والأمة دون الحرة وحيث عمم بلفظ الإماء أي أمة كانت وبقوله (حيث شاءت) أي: من الأمكنة. (٣)

فهذه بعض شمائله وأخلاقه تعرفوا عليها واحفظوا قدره وتأسوا هديه واتبعوا سنته يكن لكم الخير بإذن الله.

(١) صحيح. الشمائل للترمذي ص ٢٨٣، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٦٧١).
(٢) البخاري (٦٠٧٢).
(٣) فتح الباري ١٠/٥٥٢.

حق النبي ﷺ على أمته

أيها الأحبة هذا الحبيب يحلو لكل مسلم محب أن يتذكره، وأن يتصوره ويتخيله، وأن يعيش بقلبه مع هذا الحبيب ليعرف كيف كانت حياته؟ كيف كانت معاملاته؟ كيف كانت أخلاقه؟

وقد أمرنا الله ﷻ أن نقتفي أثره، وأن نسير على دربه، وأن نقلده في كل شيء، قال ﷻ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (الأحزاب: ٢١). فنحن مأمورون أن نسير على دربه، وأن نقتفي أثره وأن نتبع سنته.

إن رسول الله ﷺ بشر ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ﴾ (الكهف: ١١٠)، ولكنه لم يكن بشرًا عاديًا.

فمبلغ العلم فيه أنه بشر ... وأنه خير خلق الله كلهم
أغر عليه للنبوة خاتم ... من نور يلوح ويشهد
وضم الإله اسم النبي إلى اسمه ... إذا قال في الخمس المؤذن أشهد
وشق له من اسمه ليجله ... فذو العرش محمود وهذا أحمد

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ (الكهف: ١١٠). وهذه هي التي رفعت قدره وأعلت شأنه، ورفعت مكانته عند الله ﷻ وعند الخلق، ولن ننال رفقته في الجنة وشفاعته يوم القيامة إلا إن اتبعنا سنته، وسرنا على طريقته واقتفينا أثره ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ (آل عمران: ٣١) رسول الله لم يكن بشرًا عاديًا، لأنه مشرف بالوحي الذي أنزله الله عليه.

وهذه بعض حقوق النبي ﷺ

١ـ الإيمان به ﷺ: فالإيمان به من أركان الإيمان التي يجب على المسلم الإيمان بها، ومن هذه الأركان الإيمان بالرسل، وهو رسول من أولئك الرسل عليهم أفضل الصلاة وأزكى التسليم،

قال الله تعالى: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَا﴾ (التغابن: ٨)، وقد أخبر بوجوب الإيمان به فقال: **" أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله"**(١).

ومن الإيمان به التصديق الجازم الذي لاشك فيه بأن رسالته ونبوته هي حق من عند الله تعالى، والعمل بمقتضى ذلك، والتصديق بأن كل ما جاء به من الدين وما أخبر به عن الله تعالى حق صحيح، ولابد من تصديق ذلك بالقلب واللسان، فلا يكفي الإيمان به باللسان، والقلب مُنْكِر لذلك، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ (النساء: ١٣٦).

٢ـ محبته ﷺ: وهذا حق من حقوقه على أمته، وواجب عليهم أيضًا، فينتفي الإيمان بعدم محبة النبي ﷺ، فقد أوجب الله محبة نبيه في كتابه العزيز، فقال تعالى: ﴿قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ (التوبة: ٢٤). وقال ﷺ: **"لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ"**(٢). **وقال** ﷺ: **" ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ، أَنْ يَكُونَ الله وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلاَّ لله، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ"**(٣).

٣ـ طاعته ﷺ **وامتثال أمره**: طاعته ﷺ واجبة بكتاب الله ﷻ، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ﴾ (محمد: ٣٣)، وقال تعالى:

---

(١) البخاري (٢٥)، مسلم (٢٠).

(٢) البخاري (١٥).

(٣) البخاري (١٦).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ﴾ (الأنفال: ٢٠).

قال ابن كثير: يأمر تعالى عباده المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله ﷺ، ويزجرهم عن مخالفته والتشبه بالكافرين به والمعاندين له، وأن لا يتركوا طاعته ﷺ، بل امتثلوا أمره، واتركوا زواجره بعدما علمتم ما دعاكم إليه من الحق، قال ﷺ: " كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى قيل: يا رسول الله، ومن يأبى، قال: من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى"[١].

وقال ﷺ: " ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه ألا يوشك رجل شبعان على أريكته ويقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه"[٢].

ومما يدل على عظم شأن طاعته أن الله تعالى قرن طاعته سبحانه بطاعة نبيه فقال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ (النساء: ٨٠). وقال ﷺ: " **من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله** "[٣].

ولابد من الحذر كل الحذر من مخالفة أمره وأن ذلك مما يحبط الأعمال ويوجب النيران، فقد قال تعالى: ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾﴾ (الجن: ٢٣)، فمن طاعته التمسك بسنته وما أمر به واجتناب ما نهى عنه والابتعاد عنه والاهتداء بهديه، والالتزام بنظافة الثوب والبدن، وتحري الصدق في الأقوال والأفعال، وطلب الحلال في المأكل، والمشرب، والملبس، والنكاح، واجتناب الحرام في ذلك.

٤ـ اتباعه ﷺ: ومما يجب على المؤمن اتباع نبيه، واتباعه ﷺ يكون في الاعتقاد والقول، قال تعالى:

---

(١) البخاري (٧٢٨٠).

(٢) أحمد ٤/ ١٣٠، وأبو داود (٤٦٠٤) بسند صحيح، وصححه الألباني في الجامع الصغير (٤٤٠٨).

(٣) البخاري (٢٩٥٧)، ومسلم (١٨٣٥).

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (آل عمران: ٣١)، فلا بد للمسلم من اتباع هدي نبيه، واقتفاء آثره والعمل بما جاء به من قول وفعل.

وقال ابن رجب: وقوله: " **فإنه من يعش منكم بعدي، فسيرى اختلافًا كثيرًا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ** "[(١)]، هذا إخبار منه بما سيقع في أمته بعده من كثرة الاختلاف في أصول الدين وفروعه وفي الأعمال والأقوال والاعتقادات، ويجب على المسلم رد كل قول لقوله، وترك كل تشريع لشرعه والإعراض عن كل ما خالف هديه في القول والعمل والاعتقاد، والأخذ بكل ما صح عنه وثبت نسبته إليه فهو ﷺ أعلم الناس بربه تعالى وأخشاهم وأتقاهم له فيجب التمسك بما جاء به واتباع ذلك بلا تردد ولا شك لأنه ﷺ لا ينطق عن الهوى وإنما يعلمه ربه ﷻ، فالواجب على المؤمن اتباع النبي ﷺ في العقيدة والعبادة والسلوك فهذا هو طريق النجاة يوم القيامة بإذن الله تبارك وتعالى ومن خالف ذلك فسيلقي به إلى النار والعياذ بالله[(٢)].

٥ـ الاقتداء به ﷺ: قال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۖ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ (الأنعام: ٩٠)، فلقد أمر الله جل وعلا نبيه بالاقتداء بمن سبقه من الأنبياء والرسل. وأمرنا نحن باتباع النبي والاقتداء به فقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ (الأحزاب: ٢١)، أي أن لكم فيه قدوة صالحة في أفعاله وأقواله فاقتدوا به، فمن اقتدى به وتأس به سلك الطريق الموصل إلى كرامة الله وهو الصراط المستقيم، فهو ﷺ الأسوة الحسنة التي يوفق للاقتداء بها من كان يرجو الله واليوم الآخر، لما معه من الإيجار والخوف من الجبار

---

(١) أبو داود (٤٦٠٧)، وصححه الألباني في السلسة الصحيحة (٩٣٧).

(٢) جامع العلوم والحكم الحديث (٢٨) ص٤٥٩.

سبحانه، ولما يرجو من ثواب ربه، وما يخشاه من عقابه وعذابه، فكل ذلك حافز، ودافع للاقتداء به في أقواله وأفعاله وأحواله.

٦ـ **توقيره ﷺ وتعظيم شأنه**: توقيره من آكد حقوقه على أمته قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾﴾ (الفتح: ٨ - ٩) فيجب توقيره ﷺ وإجلاله وتعظيمه، كما ينبغي له ذلك على ألا يُرفع إلى مقام العبودية فإن ذلك محرم لا يجوز ولا ينبغي إلا لله ﷻ. ومن توقيره ﷺ تعظيم شأنه احترامًا، وإكبارًا لكل ما يتعلق به من اسمه وحديثه، وسنته وشريعته، وآل بيته، وصحابته - رضوان الله عليهم- وكل ما اتصل به ﷺ من قريب أو بعيد. فيُرفع من قدره حتى لا يساويه ولا يدانيه أحد من الناس. فمن توقيره ﷺ عدم التقدم بين يديه مصداقًا لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ (الحجرات: ١) أي لا تقولوا قبل قوله وإذا قال فاستمعوا له وأنصتوا، فلا يحل لأحد أن يسبقه بالقول ولا برأي ولا بقضاء بل يتعين عليهم أن يكونوا تابعين له ﷺ. وقال جل شأنه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾﴾ (الحجرات: ٢)، فهذا نهي من الله ﷻ بعدم رفع الصوت عند مخاطبة النبي، ولا يجهر المخاطب له بالقول بل يخفض الصوت ويخاطبه بالأدب ولين الجانب ويخاطبه بالتعظيم والتكريم والإجلال والإعظام.

٧ـ **وجوب النصح له ﷺ قال ابن رجب**[1]: وأما النصيحة للرسول في حياته فبذل

(١) جامع العلوم والحكم الحديث السابع.

المجهود في طاعته ونصرته ومعاونته وبذل المال إذا أراده والمسارعة إلى محبته، وأما بعد موته، فالعناية بطلب سنته والبحث عن أخلاقه وآدابه وتعظيم أمره ولزوم القيام به وشدة الغضب والإعراض عمن يدين بخلاف سنته والغضب على من صنعها لأثرة دنيا وإن كان متدينًا بها، وحب من كان منه بسبيل من قرابة، أو صهر، أو هجرة، أو نصرة، أو صحبة ساعة من ليل أو نهار على الإسلام والتشبه به في زيه ولباسه، والإيمان به وبما جاء به، ومعاداة من عاداه وموالاة من والاه. . . . . ونحو ذلك.

ومن النصيحة له ﷺ الذب عن شريعته وحمايتها بألا يزيد فيها أحد ما ليس فيها، أو أن ينتقصها أحد، فيحارب أهل البدع القولية والفعلية والعقدية، كل حسب بدعته، وكذلك احترام أصحابه وتعظيمهم ومحبتهم، لأنهم خير القرون فلا يجتمع حب رسول الله والنصح له وبغض أصحابه أو أحد منهم، فمن سب الصحابة فقد قدح في الدين، لأنهم هم الذين بلغوا دين الله ﷻبعد وفاة نبيه وفي ذلك قدح لله ﷻوسب له، وتشكيك في حكمته تعالى، فالله جل وعلا قد اختار لنبيه ولحمل دينه من هم أهل لذلك لأن الله تعالى تكفل بحفظ دينه، وهيئ له من العلماء من يبلغوه إلى الناس، فالأمة لا تجتمع على ضلالة. فمن النصح له محبة أصحابه لأنهم هم الذين بلغوا عنه هذا الدين، فرضي الله عنهم أجمعين. فاللهم صلي وسلم وزد وبارك على نبينا محمد ما غرد طير وصاح، وصلي على محمد ما أظلم ليل وأشرق صباح.

٨ـ محبة أهل بيته وصحابتهﷺ: إن محبة أهل بيت رسول الله، ومحبة أصحابه ﷺ، كل ذلك من محبته، وهي محبة واجبة فمن أبغض أحدًا من أهل بيت النبي أو أحدًا من

صحابته الكرام ﷺ، فقد أبغض النبي ﷺ، لأن محبته مقرونة بمحبتهم. قال ﷺ: "أذكركم الله في أهل بيتي"(١). وقال ﷺ لأم سلمة: " لا تؤذيني في عائشة "(٢).

وقوله في صحابته: " عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ "(٣).

وقوله: " لا تسبوا أصحابي فلو أنفق أحدكم مثل جبل أحد ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه ". وفي لفظ لمسلم: "لَا تَسُبُّوا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِي". (٤)

٩ـ الصلاة عليه ﷺ: ومن حقه على أمته أن يصلوا عليه كلما ذكر ﷺ، قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ (الأحزاب: ٥٦)

قال ابن كثير: أي أن الله تعالى أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملأ الأعلى بأنه يثني عليه عند الملائكة المقربين وأن الملائكة تصلي عليه ثم أمر أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه ليجتمع عليه الثناء عليه من أهل العالَمَيْنِ: العلوي والسفلي جميعًا(٥).

فالصلاة والسلام عليه واجبة على كل مؤمن ومؤمنة لما في ذلك من الأجر العظيم من الله ﷻ ولما في ذلك أيضًا من طاعة لله تعالى عندما أمر المؤمنين بالصلاة والسلام عليه.

---

(١) مسلم (٢٤٠٨).

(٢) البخاري (٢٥٨١).

(٣) الترمذي ٢٦٧٦، أبو داود (٤٦٠٧)، وصححه الألباني في السلسة الصحيحة (٩٣٧).

(٤) البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤٠).

(٥) تفسير ابن كثير (٦٦٨/٣).

قال النووي: إذا صلي على النبي فليجمع بين الصلاة والتسليم - أي ليقل عليه الصلاة والسلام – مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾

وعن ابن عمرو أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: "**من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرًا** "(١).

قال ابن القيم في نونيته:

هَذَا وللمتمسكين بِسنة الْمُخْتَار عِنْد فَسَاد ذِي الْأَزْمَان

أجر عَظِيم لَيْسَ يقدر قدره إلا الَّذِي أعطَاهُ للإِنْسَان

فروى أَبُو دَاوُد فِي سنَن لَهُ وَرَوَاهُ أَيْضًا أَحْمَد الشَّيْبَانِيّ

أثرًا تضمن أجر خمسين امريء من صحب أَحْمَد خيرة الرَّحْمَن

إِسْنَاده حسن ومصداق لَهُ فِي مُسلم فافهمه فهم بَيَان

إن العبادة وقت هرج هجرة حَقًّا إِلَي وَذَاكَ ذُو برهَان

هَذَا فكم من هِجْرَة لَك أَيهَا السّني بالتحقيق لَا بِأَمَان

(١) مسلم (٣٨٤).

قبسات من مشكاة النبوة
دعاءٌ جامعٌ لسعادة الدارين

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، يَقُولُ ((اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي، وَاجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ)). (١)

المعاني والفوائد الجامعة

- هذا دعاء عظيم من جوامع كلمه ﷺ، فجمع خير الدنيا والآخرة، والدين والدنيا، فحقٌّ على كل سامع له أن يحفظه، ويدعو به آناء الليل وآناء النهار، لعل الإنسان يوافق ساعة إجابة، فيحصل على خيري الدنيا والآخرة.

- النظرة الشاملة الكاملة لدين الإسلام التي تجمع للعباد بين مصالح الدين والدنيا.

- التلازم والترابط الوثيق بين إصلاح الدين وإصلاح الدنيا وإصلاح الآخرة، فلا صلاح للدنيا بدون إصلاح الدين، ولا صلاح للدين بدون صلاح الدنيا، ولا صلاح للآخرة بدونهما.

- هذا الحديث وأمثاله من الأحاديث - التي جمعت للعباد بين مصالح الدين والدنيا - تعتبر غصة في حلوق الذين يتهمون الإسلام ويرمونه بكل نقيصة بأنه دين تخلف ورجعية وأنه دين قاصرٌ عن أن يوفي العباد حاجاتهم ومصالحهم فليرجعوا إلى صوابهم ولينصفوا دين الله من أنفسهم.

قوله: (اللَّهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري):

لنا مع هذه الجملة من الحديث ثلاث وقفات:

---

(١) رواه مسلم (٢٧٢٠)

- الوقفة الأولى مع المعنى

معنى العصمة: المنع والحفظ، والعاصم المانع، يعني: اللهم احفظْ ديني عن الخَطَأِ والزَّلَل والرِّياء، وعما لا يليقُ ولا تُحِبُّه، فإنه عِمادُ أمري، فإن فَسَدَ دينهُ فَسَدَ جميعُ أموره وخابَ وخَسِر في الدنيا والآخرة. (١)

- ويقتضي هذا الطلب والالتجاء إلى الله أن يَسعى العبدُ في إصلاح دينه بمعرفة الحقِّ واتِّباعه، ومعرفة الباطل واجتنابه، ودفع فتن الشبهات والشهوات. (٢)

- الوقفة الثانية: ما يترتب على صلاح دين العبد وفساده

إصلاح الدين أعظم المقاصد، وأهم المطالب؛ لأن من صلح دينه سعد في الدنيا وفي الآخرة، ومن فسد دينه فقد خاب وخسر الدنيا والآخرة، قال تعالى: {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ } [النحل: ٣٠] فبيَّن سبحانه أنه يُسعدُ المحسنَ بإحسانه في الدنيا وفى الآخرة، كما أخبر أنه يُشقى المسيءَ بإساءته في الدنيا والآخرة. (٣) قال تعالى: { وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى} [طه: ١٢٤] أَيْ: خَالَفَ أَمْرِي، وَمَا أَنْزَلْتُهُ عَلَى رَسُولِي، أَعْرَضَ عَنْهُ وَتَنَاسَاهُ وَأَخَذَ مِنْ غَيْرِهِ هُدَاهُ {فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا} أَيْ: فِي الدُّنْيَا، فَلاَ طُمَأْنِينَةَ لَهُ، وَلَا انْشِرَاحَ لِصَدْرِهِ، بَلْ صَدْرُهُ ضَيِّقٌ حَرَج لِضَلاَلِهِ، وَإِنْ تَنَعَّم ظَاهِرُهُ، وَلَبِسَ مَا شَاءَ وَأَكَلَ مَا شَاءَ، وَسَكَنَ حَيْثُ شَاءَ، فَإِنَّ قلبه فِي قَلَقٍ وَحَيْرَةٍ وَشَكٍّ، فَلاَ يَزَالُ فِي رِيبَةٍ

---

(١) المفاتيح في شرح المصابيح للمظهري الحنفي (٣/ ٢٤٣) والتنوير شرح الجامع الصغير للصنعاني (٣/ ١٥٢)

(٢) فقه الأدعية والأذكار لعبد الرزاق البدر (٢/ ١٥٣)

(٣) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (١/ ٢٣)

يَتَرَدَّدُ. فَهَذَا مِنْ ضَنْكِ الْمَعِيشَةِ. (١)

وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْعِزَّ قَرِينَ طَاعَتِهِ، وَالذُّلَّ قَرِينَ مَعْصِيَتِهِ، فَقَالَ تَعَالَى: {وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ} [سُورَةُ الْمُنَافِقُونَ: ٨].

وبيَّن النبي ﷺ أن تعمّد مخالفة أمره سبب في الذل والصغار، فعَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((وَجُعِلَ الذِّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي)). (٢)

ويؤكد هذا المعنى ما جاء في تفسير قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ}. [الأعراف: **١٥٢**]

وَقَالَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ رحمه الله: مَا مِنْ مُبْتَدِعٍ إِلَّا وَتَجِدُ فَوْقَ رَأْسِهِ ذِلَّةً.

وَقَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ رحمه الله: كُلُّ صَاحِبِ بِدْعَةٍ ذَلِيلٌ. (٣)

قال ابن تيمية رحمه الله: فالعاصي يناله من الذلة والكبت بحسب معصيته. (٤)

وَكَانَ مِنْ دُعَاءِ بَعْضِ السَّلَفِ: اللَّهُمَّ أَعِزَّنِي بِطَاعَتِكَ وَلَا تُذِلَّنِي بِمَعْصِيَتِكَ.

وقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: إِنَّهُمْ - يعنى العصاة- وَإِنْ طَقْطَقَتْ بِهِمُ الْبِغَالُ، وَهَمْلَجَتْ بِهِمُ الْبَرَاذِينُ، إِنَّ ذُلَّ الْمَعْصِيَةِ لَا يُفَارِقُ قُلُوبَهُمْ، أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُذِلَّ مَنْ عَصَاهُ.

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ:

رَأَيْتُ الذُّنُوبَ تُمِيتُ الْقُلُوبَ. . . وَقَدْ يُورِثُ الذُّلَّ إِدْمَانُهَا

---

(١) تفسير ابن كثير (٥/ ٣٢٢)

(٢) رواه أحمد (٢/ ٥٠) وحسنه الألباني بشواهده، ونقل تقوية العراقي وابن تيمية وابن حجر للحديث في: جلباب المرأة المسلمة (ص: ٢٠٤)

(٣) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٧٨) تفسير القرطبي (٧/ ٢٩٢) مجموع الفتاوى (١٣/ ١٩٦)

(٤) الصارم المسلول (ص: ٣٠)

وَتَرْكُ الذُّنُوبِ حَيَاةُ الْقُلُوبِ. . . وَخَيْرٌ لِنَفْسِكَ عِصْيَانُهَا
وَهَلْ أَفْسَدَ الدِّينَ إِلَّا الْمُلُوكُ. . . وَأَحْبَارُ سُوءٍ وَرُهْبَانُهَا[١]

- الوقفة الثالثة: بمَ يكون إصلاح الدين؟

١- بإصلاح القلب

فإذا أصلح العبدُ قلبَه أَمِنَ مِن النفاق والرياء والعجب والكبر. . . . وكل هذه الأمراض وأمثالها من أمراض القلب تقدح في دين العبد وإيمانه إما بالسلب وإما بالنقص فلزم إصلاح القلب أولا ليسلم للعبد دينُه وإيمانه، عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنهما قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ وفيه: ((. . . . **أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ، صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ، فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ**)). [٢]

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((**لاَ يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ، وَلاَ يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ**)). [٣]

٢ – بالإخلاص لله تعالى والمتابعة لرسوله ﷺ في أي عمل يعمله العبد

فإن التمسك بهذين الأصلين عصمة للعبد من الشرور كلها، أسبابها، ونتائجها ونهاياتها، ومن مضلات الفتن، والمحن، والضلالات التي تضيّع الدين والدنيا. [٤]

قال ابن القيم رحمه الله في قوله تعالى: {قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا} [الكهف: ١٠٣]

---

(١) الداء والدواء (ص: ٥٩)
(٢) رواه البخاري (٥٢) ومسلم (١٥٩٩)
(٣) رواه أحمد (٣/ ١٩٨) وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٦/ ٨٢٢)
(٤) شرح الدعاء من الكتاب والسنة (ص: ٣٠٩)

وَهَذَا حَالُ أَرْبَابِ الْأَعْمَالِ الَّتِي كَانَتْ لِغَيْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَوْ عَلَى غَيْرِ سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. (١)

قال بعض السلف: ما مِن فعلةٍ وإن صغُرت إلا ينشر لها ديوانان: لمَ؟ وكيف؟ أي لمَ فعلتَ؟ وكيف فعلت؟. فالأول سؤال عن الإخلاص، والثاني عن المتابعة، فإن الله سبحانه لا يقبل عملا إلا بهما، فطريق التخلص من السؤال الأول: بتجريد الإخلاص، وطريق التخلص من السؤال الثاني: بتحقيق المتابعة. (٢)

فالله عز وجل لا يقبل من العمل **إلا ما كان خالصا لوجهه، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ** رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ)). (٣)

وأن يكون مقتديا في عمله بالنبي ﷺ، فعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ)). (٤) **ولمسلم** ((مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ)). (٥)

قوله: (وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي)

أي أصلح لي عيشي في هذه الدار الفانية القصيرة، بأن أُعْطَى الكفاف والصلاح، فيما أحتاج إليه، وأن يكون حلالاً مُعيناً على طاعتك، وعبادتك على الوجه الذي ترضاه عني، وأسألك صلاح الأهل، من الزوجة الصالحة، والذرية والمسكن الهنيء، والحياة الآمنة الطيبة ومنشأ ذلك كله أن يصلح العبد ما بينه وبين ربه تبارك وتعالى باجتناب

---

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية (٢/ ٨٩)

(٢) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (١/ ٨)

(٣) رواه مسلم (٢٩٨٥)

(٤) رواه البخاري (٢٦٩٧) ومسلم (١٧١٨)

(٥) رواه مسلم (١٧١٨)

السيئات وعمل الصالحات. [١] **قال جلّ شأنه:** { مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [النحل: ٩٧]

قوله: { فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً }: أي في الدنيا بالقناعة، وراحة البال، والرزق الحلال والتوفيق لصالح الأعمال. [٢] وَالْحَيَاةُ الطَّيِّبَةُ تَشْمَلُ وُجُوهَ الرَّاحَةِ مِنْ أَيِّ جِهَةٍ كَانَتْ. [٣]

- أسس وقواعد إصلاح الدنيا

ذكر الماوردي عدة أَشْيَاءَ هِيَ قَوَاعِدُ وأسس إصلاح الدنيا من أهمها: دِينٌ مُتَّبَعٌ وَسُلْطَانٌ قَاهِرٌ وَعَدْلٌ شَامِلٌ وَأَمْنٌ عَامٌّ. [٤]

- الدين هو الأساس الأول والأعظم في إصلاح الدنيا

قال الماوردي رحمه الله: الدِّينَ أَقْوَى قَاعِدَةٍ فِي صَلاَحِ الدُّنْيَا وَاسْتِقَامَتِهَا، وَأَجْدَى الْأُمُورَ نَفْعًا فِي انْتِظَامِهَا وَسَلاَمَتِهَا. [٥] **عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ** رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: ((قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ)). [٦]

وعَنْ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ رضي الله عنه، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: ((طُوبَى لِمَنْ هُدِيَ إِلَى الإِسْلاَمِ، وَكَانَ عَيْشُهُ كَفَافًا وَقَنَعَ)). [٧]

- الأساس الثاني السلطان

---

(١) شرح الدعاء من الكتاب والسنة لماهر بن مقدم (ص: ٣١٠)
(٢) شرح الدعاء من الكتاب والسنة (ص: ٣١٠)
(٣) تفسير ابن كثير (٤/ ٦٠١)
(٤) أدب الدنيا والدين (ص: ١٣٣)
(٥) أدب الدنيا والدين (ص: ١٣٣)
(٦) رواه مسلم (١٠٥٤)
(٧) رواه الترمذي (٢٣٤٩) وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤/ ١١)

قال ابن جماعة رَحِمَهُ اللَّهُ: الْخلقُ لَا تصلح أَحْوَالهم إِلَّا بسُلْطَان يقوم بسياستهم، ويتجرد لحراستهم. (١)

وكَمَا قَالَ عُثْمَانُ بْنُ عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إنَّ اللَّهَ لَيَزَعُ بِالسُّلْطَانِ مَا لَا يَزَعُ بِالْقُرْآنِ. (٢)

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: يَجِبُ أَنْ يُعْرَفَ أَنَّ وِلَايَةَ أَمْرِ النَّاسِ مِنْ أَعْظَمِ وَاجِبَاتِ الدِّينِ؛ **بَلْ لَا قِيَامَ لِلدِّينِ وَلَا لِلدُّنْيَا إلَّا بِهَا.** فَإِنَّ بَنِي آدَمَ لَا تَتِمُّ مَصْلَحَتُهُمْ إلَّا بِالِاجْتِمَاعِ لِحَاجَةِ بَعْضِهِمْ إلَى بَعْضٍ وَلَا بُدَّ لَهُمْ عِنْدَ الِاجْتِمَاعِ مِنْ رَأْسٍ. (٣)

فالدين والسلطان متلازمان لا قيام لأحدهما بدون الآخر، فَإِنْ انْفَرَدَ السُّلْطَانُ عَنْ الدِّينِ أَوْ الدِّينُ عَنْ السُّلْطَانِ فَسَدَتْ أَحْوَالُ النَّاسِ. (٤)

- الأساس الثالث العدل

فالعَدْل الشَامِل يَدْعُو إلَى الْأُلْفَةِ، وَيَبْعَثُ عَلَى الطَّاعَةِ، وَتَتَعَمَّرُ بِهِ الْبِلَادُ، وَتَنْمُو بِهِ الْأَمْوَالُ، وَيَكْثُرُ مَعَهُ النَّسْلُ، وَيَأْمَنُ بِهِ السُّلْطَانُ، وَلَيْسَ شَيْءٌ أَسْرَعُ فِي خَرَابِ الْأَرْضِ وَلَا أَفْسَدُ لِضَمَائِرِ الْخَلْقِ مِنْ الْجَوْرِ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ يَقِفُ عَلَى حَدٍّ وَلَا يَنْتَهِي إلَى غَايَةٍ. (٥)

- الأساس الرابع الأمن

---

(١) تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام لابن جماعة(ص: ٤٨)
(٢) مجموع الفتاوى (١١/ ٤١٦)
(٣) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٣٩٠)
(٤) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٣٩٤)
(٥) أدب الدنيا والدين (ص: ١٣٩)

فالأمن تَطْمَئِنَّ إِلَيْهِ النُّفُوسُ وَتَنْتَشِرُ فِيهِ الْهِمَمُ، وَيَسْكُنُ إِلَيْهِ الْبَرِيءُ، وَيَأْنِسُ بِهِ الضَّعِيفُ. فَلَيْسَ لِخَائِفٍ رَاحَةٌ، وَلَا لِحَاذِرٍ طُمَأْنِينَةٌ. **وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ**: الْأَمْنُ أَهْنَأُ عَيْشٍ، وَالْعَدْلُ أَقْوَى جَيْشٍ؛ لِأَنَّ الْخَوْفَ يَقْبِضُ النَّاسَ عَنْ مَصَالِحِهِمْ، وَيَحْجِزُهُمْ عَنْ تَصَرُّفِهِمْ. (١)

- تعمير الأرض وبناء حضارة للأمة من مقاصد الشريعة الإسلامية

فدين الإسلام دين اعتقاد وعبادة وحضارة، وخير شاهد على ذلك تاريخ السلف وواقعهم، وأما التفريق بين شؤون الدّنيا وشؤون الآخِرة هو سببَ التّخلّف الذي أزرى بأمّتنا وأقعدها عن نشرِ رسالتِها، حين فهِم أقوامٌ مِن ذمّ الدّنيا إهمالَ الحياة الدّنيا وتركَ عمارتها والهروبَ عن إصلاحها وتنميتها والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فأوجدَ فيهم ذلك سلبيةً مقيتة وانهزاميّة وضعفًا وخوَرًا يأباه الدّين، قال تعالى: { وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ } [البقرة: ٢٠١]

الحسنة في الدّنيا تشمَل كلَّ مطلوبٍ دنيويّ من عافية ودارٍ رحبة ورزق واسع وعلمٍ نافع وعمل صالح ومركَب حسنٍ وثناءٍ جميل، والحسنة في الآخرة أعلاها دخولُ الجنّة وتوابعُه من الأمنِ من الفزع الأكبر وتيسير الحساب.

والصّحابة رضي الله عنهم هم القدوة والنموذجُ في فهم الإسلام، يأخذون بالأسبابِ في الكسب من تجارةٍ وزراعة، ويطلبون العلمَ ويبذلون في سبيل ذلك أوقاتهم ونفوسَهم وأموالهم، فيهم الأغنياءُ دون بطرٍ والفقراء مع التعفُّف، ومع هذا كانوا أبعدَ النّاس عن التهالك على الدنيا، فتَحوا البلدان، وأنشأوا المدُن، وأقاموا الدّولَ، ونشروا الإسلام. (٢)

- هل الدنيا مذمومة لذاتها؟ وكيف نجمع بين عمارتها والزهد فيها؟

---

(١) أدب الدنيا والدين (ص: ١٤٢)

(٢) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب لمحمد عويضة (٩/ ٢٧٢)

ليس ذم الدنيا راجعاً إلى مكان الدنيا وهو الأرض، وما أودع فيها من جبال وبحار وأنهار ومعادن، فإن ذلك كله من نعم الله على عباده، لما لهم فيها من المنافع، والاعتبار، الاستدلال على وحدانية الصانع سبحانه، وقدرته وعظمته، وإنما الذم راجع إلى أفعال بنى آدم الواقعة في الدنيا، لأن غالبها واقع على غير الوجه الذى تحمد عاقبته. (١)

يَعِيبُ النَّاسُ كُلُّهُمُ الزَّمَانَا. . . وَمَا لِزَمَانِنَا عَيْبٌ سِوَانَا

نَعِيبُ زَمَانَنَا وَالْعَيْبُ فِينَا. . . فَلَوْ نَطَقَ الزَّمَانُ بِهِ رَمَانَا (٢)

سُئِلَ أَبُو صَفْوَانَ الرُّعَيْنِيُّ: مَا هِيَ الدُّنْيَا الَّتِي ذَمَّهَا اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ الَّتِي يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَتَجَنَّبَهَا؟ فَقَالَ: كُلُّ مَا أَصَبْتَ فِي الدُّنْيَا تُرِيدُ بِهِ الدُّنْيَا، فَهُوَ مَذْمُومٌ، وَكُلُّ مَا أَصَبْتَ فِيهَا تُرِيدُ بِهِ الْآخِرَةَ، فَلَيْسَ مِنْهَا.

وَقَالَ الْحَسَنُ رَحِمَهُ اللَّهُ: نِعْمَتُ الدَّارُ كَانَتِ الدُّنْيَا لِلْمُؤْمِنِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ عَمِلَ قَلِيلاً، وَأَخَذَ زَادَهُ مِنْهَا إِلَى الْجَنَّةِ، وَبِئْسَتِ الدَّارُ كَانَتْ لِلْكَافِرِ وَالْمُنَافِقِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ ضَيَّعَ لَيَالِيَهُ، وَكَانَ زَادُهُ مِنْهَا إِلَى النَّارِ. (٣)

الدّنيا في المفهوم الإسلاميّ وسيلة وذريعةٌ لتحصيل مقاصدِ الشريعة ومطيّة للآخرة، فإنّها إذا فسدت فربّما أدّى فسادُها إلى إيقاف الدّين، قال الله تعالى: {وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ} [القصص: ٧٧]

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب (٩/ ٢٧٢)

(٢) الزهد الكبير للبيهقي (ص: ١٢٤)

(٣) جامع العلوم والحكم (٢/ ١٩٣)

والآثار الواردة في ذم الدنيا في كتاب الله تعالى وفي سنة رسوله ﷺ إذا كانت تشغل العبد عن طاعة الله مما يكون قبل الموت، وعلى هذا فإن الأموال والأولاد والمناصب إذا استعان بها صاحبها على طاعة الله فليست مذمومة، وإذا شغلت عن طاعة الله أو أدت إلى معصيته فهي مذمومة.

قَالَ الْحَافِظ ابْنُ الْجَوْزِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَاعْلَمْ أَنَّ خَلْقًا كَثِيرًا سَمِعُوا ذَمَّ الدُّنْيَا وَلَمْ يَفْهَمُوا الْمَذْمُومَ، وَظَنُّوا أَنَّ الْإِشَارَةَ إِلَى هَذِهِ الْمَوْجُودَاتِ الَّتِي خُلِقَتْ لِلْمَنَافِعِ مِنْ الْمَطَاعِمِ وَالْمَشَارِبِ فَأَعْرَضُوا عَمَّا يُصْلِحهُمْ مِنْهَا فَتَجَفَّفُوا فَهَلَكُوا.

قال الماوردي رَحِمَهُ اللَّهُ: لابد للإنْسَان أَنْ يَصْرِفَ إِلَى دُنْيَاهُ حَظًّا مِنْ عِنَايَتِهِ؛ لِأَنَّهُ لَا غِنَى بِهِ عَنْ التَّزَوُّدِ مِنْهَا لِآخِرَتِهِ، وَلَا لَهُ بُدٌّ مِنْ سَدِّ الْخَلَّةِ فِيهَا عِنْدَ حَاجَتِهِ. (١)

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: مَتَاعُ الْغُرُورِ مَا يُلْهِيكَ عَنْ طَلَبِ الْآخِرَةِ، وَمَا لَمْ يُلْهِكَ، فَلَيْسَ بِمَتَاعِ الْغُرُورِ وَلَكِنَّهُ مَتَاعُ بِلَاغٍ إِلَى مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ.

وَقَالَ يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ الرَّازِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: كَيْفَ لَا أُحِبُّ دُنْيَا قُدِّرَ لِي فِيهَا قُوتٌ أَكْتَسِبُ بِهَا حَيَاةً أُدْرِكُ بِهَا طَاعَةً أَنَالُ بِهَا الْآخِرَةَ.

وقال سفيان بن عيينة: ليس من حب الدنيا طلبك ما لا بد منه. (٢)

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: وَإِذْ قَدْ عَرَفْت الْمَذْمُومَ مِنْ الدُّنْيَا فَكُنْ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا تَأْخُذْ فَوْقَ مَا يُصْلِحُك، وَلَا تَمْنَعْ نَفْسَك حَظَّهَا الَّذِي يُقِيمُهَا. كَانَ بَعْضُ السَّلَفِ يَقُولُ: إذَا وَجَدْنَا أَكَلْنَا أَكْلَ الرِّجَالِ، وَإِذَا فَقَدْنَا صَبَرْنَا صَبْرَ الرِّجَالِ. (٣)

---

(١) أدب الدنيا والدين (ص: ١٣١)

(٢) صفة الصفوة (١/ ٤٢٥) و تلبيس إبليس (ص: ١٦٣)

(٣) غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب (٢/ ٥٤٨)

قوله: (وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي)

أي وفّقني للعمل الصالح الذي يرضيك عني، وملازمة طاعتك، والتوفيق إلى حسن الخاتمة حتى رجوعي إليك يوم القيامة، فأفوز بالجنان، قال اللَّه تعالى: {وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ} [هود: ١٠٤] لم يقل تعالى ممدود، بل قال: (مَعْدُودٍ) أي يُعدّ عدّاً إلى هذا اليوم العظيم، فينبغي لنا أن نعدّ العُدّة لهذا اليوم. (١)

وسؤال العبد ربه صلاح آخرته يشتمل على ثلاثة أركان:

- التوفيق لفعل الطاعات والتسديد في فعلها
- والمداومة على ذلك حتى يلاقاه
- والتوفيق لحسن الخاتمة

قوله: (واجعل الحياة زيادة لي في كل خير):

أي اجعل يا اللَّه الحياة سبباً في زيادة كل خير يرضيك عني من العبادة والطاعة، ويُفهم من ذلك أن طول عمر المسلم زيادة في الأعمال الصالحة الرافعة للدرجات العالية في الدار الآخرة، كما سُئل النبي ﷺ مَنْ خَيْرُ النَّاسِ؟ قَالَ: ((مَنْ طَالَ عُمُرُهُ، وَحَسُنَ عَمَلُهُ)). (٢)

قوله: (واجعل الموت راحة لي من كل شر)

أي اجعل الموت راحة لي من كل هموم الدنيا وغمومها من الفتن والمحن، والابتلاءات بالمعصية والغفلة، ويُفهم من ذلك أن المؤمن يستريح غاية الراحة، ويسلم

---

(١) شرح الدعاء من الكتاب والسنة (ص: ٣١٠)

(٢) رواه أحمد (٤/ ١٨٨) والترمذي (٢٣٢٩) من حديث عبد الله بن بسر ﷺ وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٦٢٤)

السلامة الكاملة عند خروجه من هذه الدار، كما في **حديث أَبِي قَتَادَةَ الأَنْصَارِيِّ** رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مُرَّ عَلَيْهِ بِجِنَازَةٍ، فَقَالَ: ((مُسْتَرِيحٌ وَمُسْتَرَاحٌ مِنْهُ)) قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا المُسْتَرِيحُ وَالمُسْتَرَاحُ مِنْهُ؟ قَالَ: ((العَبْدُ المُؤْمِنُ يَسْتَرِيحُ مِنْ نَصَبِ الدُّنْيَا وَأَذَاهَا إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ، وَالعَبْدُ الفَاجِرُ يَسْتَرِيحُ مِنْهُ العِبَادُ وَالبِلاَدُ، وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ)). (١)

وقيل للإمام أحمد رحمه الله: متى يجد العبد طعم الراحة؟ فقال: عند أول قدم يضعها في الجنة. (٢)

قال ابن القيم رحمه الله: ليس للعابدين مستراحٌ إلا تحتَ شجرة طوبى، ولا للمحبين قرارٌ إلا يوم المزيد، فمثلْ لقلبك الاستراحةَ تحت شجرة طوبى يَهنْ عليك النصب، واستحضر يوم المزيد يهن عليك ما تتحمل من أجله. (٣)

وفيه دلالة على أنه يجوز الدعاء بالموت إذا خاف على نفسه الفتنة. (٤)

---

(١) رواه البخاري (٦٥١٢) ومسلم (٩٥٠)

(٢) طبقات الحنابلة (١/ ٢٩٣)

(٣) بدائع الفوائد (٣/ ٢١٨)

(٤) البدر التمام شرح بلوغ المرام للمغربي (١٠/ ٤٧٧)

قل هو من عند أنفسكم

إن وصف الدواء لا يكون إلا بعد تشخيص الداء ومعرفة أسباب المرض، ولا يكون ذلك إلا بعد أن يعترف المريض بمرضه ثم يسعى في علاجه؛ وهذه قاعدة في أمراض الأجساد وأمراض القلوب بل وأمراض الأمم.

وإننا إذا نظرنا في واقع الناس فرأينا ضيقًا وضنكًا وفقرًا ومرضًا واختلافًا وتفرقًا فلنعلم أن كل ذلك عقوبات إلهية وآيات ربانية، وأن سر هذه الانتكاسات وسبب تلك العقوبات هو فعل المحرمات وترك المأمورات؛ قال تعالى: {**ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**} [الروم: ٤١]

وإذا كان من رحمة الله تعالى أنه يضاعف الحسنات فمن مقتضى عدله سبحانه أنه يجازى على السيئة بمثلها {**وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ**} [يونس: ٢٧]

ومن هنا كان من شؤم المعاصي والمخالفات أنها تقلب العافية بلاءً والأمن خوفًا والنصر هزيمَة؛ ففي غزوة أحد كانت المعصية سببًا في تخلف النصر عن المسلمين، فبسبب معصية واحدة خولف فيها أمر النبي ﷺ ذهب النصر بعد أن لاح في الأفق{ **وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ**} [آل عمران: ١٥٢]، فإذا كان هذا بسبب معصية واحدة فكيف بحال الناس اليوم وقد صار الإسلام غريبا بين أهله وأضحت السنة محل هجر وترك بل محل سخرية واستهزاء من أناس قد تسموا بأسماء المسلمين وعاشوا بين ظهرانيهم.

عموم العقاب الرباني إذا كثر الخبث

إن الفساد إذا كثُر وإن العصيان إذا ظهر وإن الخَبَث إذا انتشر وإن الناس إذا سكتوا عن المنكر إذا ظهر فعله وعن المعروف إذا ظهر تركه فيوشك أن يعمَّ العذابُ الجميع، ولا يخصُّ الظالمين فقط

{وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} [الأنفال: **٢٥**]

وعن زينب بنت جحش رضي الله عنها، أن النبي ﷺ، دَخَلَ عَلَيْهَا فَزِعًا يَقُولُ: "لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ، فُتِحَ اليَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ" وَحَلَّقَ بِإِصْبَعِهِ الإِبْهَامِ وَالَّتِي تَلِيهَا، قَالَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: "**نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الخَبَثُ**"(١)

وعن عَائِشَة رضي الله عنها، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "يَغْزُو جَيْشٌ الكَعْبَةَ، فَإِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءَ مِنَ الأَرْضِ، يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ" قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ، وَفِيهِمْ أَسْوَاقُهُمْ، وَمَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ؟ قَالَ: "يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ، ثُمَّ يُبْعَثُونَ عَلَى نِيَّاتِهِمْ"(٢)

وإن عموم العقاب الرباني عند كثرة الفساد والإفساد إنما هو محض عدل من الله ومحض تقصير وتفريط من الناس. قَالَ سُبحَانَهُ: **{وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ}** [الشورى: **٣٠**]

وَقَالَ تَعَالى: **{إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ}** [يونس: **٤٤**]

---

(١) أخرجه البخاري (**٣٣٤٦**) واللفظ له، ومسلم (**٢٨٨٠**)

(٢) أخرجه البخاري (**٢١١٨**)، ومسلم (**٢٨٨٤**)

ذلك أن المنهج الإسلامي قائم على التنويع بين المسئولية الفردية والجماعية فلا يلتزم المسلم بقيامه على حدود الله في نفسه فقط بل له دور في تقويم غيره.

عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: " مَثَلُ القَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاَهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ المَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا، وَنَجَوْا جَمِيعًا[1]

أسباب العقوبات:

إننا إذا كان مستقرًا لدينا نحن المسلمين اعتقادُ عدل الله وحكمته فيما قضى وقدَّر فلنعلم أن الثواب والعقاب لا يكون بغير أسباب مؤدية إما إلى سعة وخير وبركة أو إلى ضيق وشر وشدة؛ وإننا إذا رأينا الواقع يشير إلى الأصناف الأخيرة فلنعلم أن لذلك أسبابًا منها:

١- التفسير المادي للآيات الكونية والعقوبات الربانية:

إن مما يؤسف له ألا يدرك الناس حكمة الآيات وعلة العقوبات، فتراهم يخضعونها للغة الأرقام الحسابية والقوانين الطبيعية؛ فلا تتحقق لديهم ثمرة إيمانية ولا يتأتى منهم رجوع إلى رب البرية، والله تعالى ما يرسل بالآيات إلا تخويفا لعباده وتذكيرا لهم بالرجوع والإنابة إليه.

قال تعالى: {**وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا**} [الإسراء: **٥٩**]

وقال: {**وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**} [الأعراف: **١٦٨**]

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٩٣)

وقال: {وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [السجدة: ٢١]

من أجل ذلك فإن النبي ﷺ قد حرص على أن يربي أصحابه والأمة من بعدهم على إدراك مُراد الرب سبحانه وحكمته من آياته الكونية التي يسميها البعض ظواهر طبيعية خروجًا بها عما أراده الله لها من معانٍ إيمانية وآثار اعتقادية.

عن زيد بن خالد الجهني، قال: صَلَّى بِنَا ﷺ وَسَلَّمَ صَلاَةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَةِ فِي إِثْرِ السَّمَاءِ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: "هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ " قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: " قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ "[(١)]

وعن عائشة أن النبي ﷺ قال: إِنَّ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، لاَ يَخْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلاَ لِحَيَاتِهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ، فَادْعُوا اللَّهَ، وَكَبِّرُوا وَصَلُّوا وَتَصَدَّقُوا.[(٢)]

وإن من أعظم الخسران أن يزين الشيطان لهؤلاء الذين يفسرون الأشياء تفسير ماديًا مجردًا عن أي معنى إيماني فيستمرون على غيِّهم وضلالهم حتى آخر لحظات حياتهم؛ فهذه عاد { **الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ**} [الفجر: ٨] كفروا ربهم وكذبوا نبيهم، فأذن الله بهلاكهم فظنوا أنه خيرٌ قد سيق إليهم وكأن العافية حالًا لا تَحُول {**فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ**

---

(١) أخرجه مسلم (٧١)

(٢) جزء من حديث عائشة، أخرجه البخاري (١٠٤٤)، ومسلم (٩٠١)

(٢٤) تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ} [الأحقاف: ٢٤، ٢٥]

٢- تبرير الأخطاء

إن تبرير الأخطاء بالحجج الواهية والتقيد الأعمى والعادات المتبَّعة من أعظم أسباب الهلاك والإهلاك، قال تعالى: {**وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ (٢٣) قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (٢٤) فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ**} [الزخرف: ٢٣ - ٢٥]

وإن الاعتراف بالخطأ أول طريق التوبة، قال رسول الله ﷺ لعائشة رضي الله عنها في قصة الإفك التي ساقها البخاري في صحيحه: وَإِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ، فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ، فَإِنَّ العَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ، ثُمَّ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ. (١)

وإن المرء مهما أوتي من قدرة على الجدَل وذكر المبررات والأعذار فينبغي له أن يعلم أنه يعامل رب العزة الذي لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء.

روى الشيخان عن كعب بن مالك يحكي خبر تخلُّفه عن غزوة العسرة وفيها أن النبي ﷺ قال له: "مَا خَلَّفَكَ، أَلَمْ تَكُنْ قَدْ ابْتَعْتَ ظَهْرَكَ". فَقُلْتُ: بَلَى، إِنِّي وَاللَّهِ لَوْ جَلَسْتُ عِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، لَرَأَيْتُ أَنْ سَأَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ بِعُذْرٍ، وَلَقَدْ أُعْطِيتُ جَدَلًا، وَلَكِنِّي وَاللَّهِ، لَقَدْ عَلِمْتُ لَئِنْ حَدَّثْتُكَ اليَوْمَ حَدِيثَ كَذِبٍ تَرْضَى بِهِ عَنِّي، لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يُسْخِطَكَ عَلَيَّ، وَلَئِنْ حَدَّثْتُكَ حَدِيثَ صِدْقٍ، تَجِدُ عَلَيَّ فِيهِ، إِنِّي لَأَرْجُو فِيهِ عَفْوَ اللَّهِ،

(١) أخرجه البخاري (٢٦٦١)

لاَ وَاللَّهِ، مَا كَانَ لِي مِنْ عُذْرٍ، وَاللَّهِ مَا كُنْتُ قَطُّ أَقْوَى، وَلاَ أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَمَّا هَذَا فَقَدْ صَدَقَ، فَقُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِيكَ". (١)

فهذا كعب رضي الله عنه رجل شاعر فصيح اللسان قوي البيان قد أوتي جدلًا وقدرَة على الحوار وذكر الأعذار ولكنه يعلم أن ذلك لا يغني عنه من الله شيئا فقد قال رب العزة عن نفسه: {**وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ (١٨) يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ**} [غافر: ١٨، ١٩]

٣- الاغترار بحلم الله وإلف المعصية

إن إمهال الله للظلمة والفجرة والعصاة ليس نسيانًا ولا إهمالًا ولكنه ربما كان إمهالًا واستدراجًا، {**وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ**} [الأعراف: ١٨٣]، {**فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا**} [الطارق: ١٧]

وعن أبي موسى رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ" قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ: {**وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ**} [هود: ١٠٢].

قال ابن القيم: وكثير من الجهال اعتمدوا على رحمة الله وعفوه وكرمه، وضيعوا أمره ونهيه، ونسوا أنه شديد العقاب، وأنه لا يرد بأسه عن القوم المجرمين، ومن اعتمد على العفو مع الإصرار على الذنب فهو كالمعاند. (٢)

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩)

(٢) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن القيم (ص: ٢٨)

وإن من أسباب عدم الشعور بالذنب وخطره إلفَ المعصية والتعودَ عليها حتى تصير أمرًا واقعًا في حياة الناس فتتعودها الجوارح ويألفها القلب ويفقد العبد الشعور بخطرها؛ فعند مسلم من حديث حذيفة رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ، عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلاَ تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ، مُجَخِّيًا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ. (١)

٤-كفران النعم وعدم شكر المنعم

إن شكر النعم سبب في حفظها بل في مزيدها {**وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ**} [إبراهيم: ٧]، كما أن كفران النعم سبب للعذاب والعقاب؛ {**وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ**} [إبراهيم: ٧]

وقال تعالى: {**وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ**} [النحل: ١١٢]

وإن الناس يتقلبون في نعم الله ليل نهار ولكن عندما تعمى البصائر عن رؤية النعم وتنصرف القلوب والجوارح عن شكر المنعم فإن الكفران سبب في زوالها.

قال تعالى: {**لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ (١٥) فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ**

(١) أخرجه مسلم (١٤٤)

بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ (١٦) ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ} [سبأ: ١٥ - ١٧]

وهذا صاحب الجنتين الذي قصَّ علينا رب العزة من خبر جرأته على ربه في سورة الكهف **{وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا (٣٥) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا} [الكهف: ٣٥، ٣٦]**

فعاقبه الله على هذه الجرأة **{وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَالَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا (٤٢) وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا}** [الكهف: ٤٢، ٤٣]

٥- ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

لقد مضت سنة الله في كونه بأنه يسلط عقوبته على من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الأمم **{لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ}** [المائدة: ٧٨]

فلا تكون النجاة من العقوبة لمن لم يشارك في المنكر فقط بل لا تكون النجاة إلا لمن نهى عن المنكر على قدر ما يستطيع **{وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (١٦٤) فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ}** [الأعراف: ١٦٤، ١٦٥]

المخرج من العقوبات الربانية

١- تحقيق حقيقة الإيمان والعمل الصالح

إن تحقيق حقيقة الإيمان سبب في الأمن والرزق والحياة الطيبة والنجاة من العقاب؛ قال تعالى: **{الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ}** [الأنعام: ٨٢]

وقال: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [النحل: ٩٧]

{وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [الأعراف: ٩٦]

١- الدعاء والتضرع لا سيما عند حلول المصائب:

قال تعالى: {فَلَوْلاَ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [الأنعام: ٤٣].

{وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ} [الأنبياء: ٨٧]

٢- الاستغفار والعمل الصالح

إذا كان من مقتضى ضعف الإنسان ونقصه أنه يقع في المعاصي والمخالفات كما في حديث أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ. (١)

فإن الله قد فتح له باب التوبة والمغفرة وجعل سبحانه الاستغفار جالبا للثواب ومانعا من العقاب فقال تعالى: {وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ} [الأنفال: ٣٣]، وقال: {وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ} [هود: ١١٧].

٣- الأمر بالمعروف والرشاد والنهي عن المنكر والفساد

{فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ} [هود: ١١٦]

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٤٩)

فإن العبد إذا نهى عن المنكر والفساد وأمر بالمعروف والرشاد فهو بين حالين: إما أن يستجاب له فيكون سبب في هداية المفسدين، وإما أن يعذر إلى الله فلا يناله العذاب مع المعذبين؛ فقد قص ربنا علينا من نبأ طوائف بني إسرائيل الثلاثة، الذين وقعوا في الفساد، والذين نهوا عن الفساد، والذين اعتزلوا فلم يفعلوا ولم ينهوا، ثم بين رب العزة أن النجاة كانت لطائفة واحدة فقال عز من قائل: {**وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (١٦٤) فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ**} [الأعراف: **١٦٤، ١٦٥**]

٤- أن نعلم أن تغيير الواقع سبب في تغيير الحال

إن المرء إذا نظر في حاله وحال من حوله فرأى تحولا من منحة إلى محنة أو من رخاء إلى شدة أو عكس ذلك فليعلم أن ذلك إنما هو نتيجة لأن الناس قد غيروا ما بأنفسهم فغير الله حالهم.

قال تعالى: {**إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ**} [الرعد: من الآية **١١**].

وقال تعالى: {**ذَلِكَ بِأَنَّ اللّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ**} [الأنفال: من الآية **٥٣**].

خاتمة

إن الله تعالى لم يقنط عباده من رحمته حتى من أسرف على نفسه قال تعالى: {**قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**} [الزمر: **٥٣**]

بل إنه سبحانه يفرح بتوبة عبده ورجوعه إليه؛ فعن أنس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: اللَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ، سَقَطَ عَلَى بَعِيرِهِ، وَقَدْ أَضَلَّهُ فِي أَرْضٍ فَلاَةٍ.(١)

ومع ذلك فإن الله قد أعلم عباده بفقرهم إليه وغناه عنهم وقدرته عليهم فقال: {**يَاأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (١٥) إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ (١٦) وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ**} [فاطر: ١٥ - ١٧]

وقال رب العالمين مهددا أهل الضلالة ومثبتا أهل الهداية: {**قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا (٧٥) وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا**} [مريم: ٧٥، ٧٦]

(١) أخرجه البخاري: (٦٣٠٩) واللفظ له، ومسلم: (٢٧٤٧)

خطورة التشبه

معنى التشبه وضوابطه نهى الإسلام عن التشبه أسباب الوقوع في التشبه
صور التشبه المخرج من الفتنة

مقدمة

لقد بين الله عز وجل لعباده منهاجًا واضحًا من أمر دينهم يَشْرَعُ بهم إلى الحق، فأوصى سبحانه نبيهﷺ بقوله: {ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ} [الجاثية: ١٨]، أي: اتَّبع ما يُوحى إليك مِنْ ربِّك وهو شريعتك الحقَّة الثَّابتة بالدلائل والحُجَج، ولا تتَّبع ما لا دليل عليه مِنْ آراء الجهال في دينهم الباطل المبنيِّ على البدع والأَهواء. لذا فليس شيء من أمور الكفار، في دينهم ودنياهم، إلا وهو: إما فاسد وإما ناقص في عاقبته، حتى ما هم عليه من إتقان أمور دنياهم، قد يكون اتباعنا لهم فيه مُضِرًّا: إما بدنيانا وآخرتنا، أو أحدهما، وإن لم ندرك ذلك.

وأخبر النبيﷺ أن ولاية المؤمنين مع بعضهم لا تكون إلا بالدين وللدين وأنهم أولياء بعض وإن تباعدت أنسابهم، فقالﷺ: ((إِنَّمَا وَلِيِّيَ اللهُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ))[١].

فأوجبﷺ الولاية بالدين ونفاها عن أهل رحمه إذا لم يكونوا على دينه[٢].

معنى التشبه وضوابطه:

(١) أخرجه البخاري(٥٩٩٠)، ومسلم(٢١٥).

(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٩/ ٢٠٦)، التفسير الوسيط - مجمع البحوث (٩/ ٨٨٣).

معنى التشبه: التشبه مأخوذ من المشابهة وهي المماثلة والمحاكاة والتقليد. يقال: شبَّهتُ الشيءَ بالشيءِ أقمته مقامه لصفة جامعة بينهما. وتشبَّه بفلان: تمثَّل به، اقتدى به، حاكاه، وتشبَّه بالنِّساء: ماثَلَهنّ في حركاته وسلوكه، و تشبّه بالكرام: صنع صنيعَهم(١).

وعرفه الغزيرحمه الله: بأنه عبارة عن محاولة الإنسان أن يكون شبه المتشبه به، وعلى هيئته وحليته ونعته وصفته، أو هو عبارة عن تكلف ذلك وتقصده وتعلمه(٢).

ضوابطه: إن مخالفة المشركين في عامة أمورهم أصلح لنا- نحن المسلمين- في دنيانا وآخرتنا، وإن كان التشبه بهم في الأمور الدينية، فقد وردت النصوص بالنهي عن ذلك مطلقًا، وأما التشبه في الأمور العادية فهي على قسمين:

الأول: لا يجوز أن نتشبه بهم فيه، وهي الأمور التي هي بمثابة الشعار لهم، أو التي يفعلونها دون غيرهم، وهي من خصائصهم في العادات والأزياء، وما إلى ذلك، فهذا أمر يحرم محاكاتهم فيه.

والثاني: أمور العادات الأخرى فالأصل فيها الإباحة، ويجوز للناس أن يفعلوها، لكن بشرط أن لا يكون ذلك بقصد محاكاة الكافر، وعلى أن يكون ذلك فيما ليست من خصائصهم، وضابط كون الشيء من خصائص الكفار، هو أن يكون مما يفعلونه دون غيرهم، أو أن يكون ذلك شعاراً لهم بحيث يُظن بمن فعله أنه منهم، وإن وجد من يفعله من بعض الأفراد الذين قد يحسبون على المسلمين، فإن ذلك يبقى من

---

(١) انظر مختار الصحاح (ص: ١٦١)، المصباح المنير (١/ ٣٠٣)، ومعجم اللغة العربية (٢/ ١١٦١)، مقاييس اللغة (٣/ ٢٤٣).

(٢) انظر كتاب حسن التنبه لما ورد في التشبه(١/١٥).

خصائصهم، وفعل هؤلاء الأفراد ممن تقحموا هذا الفعل وأقدموا عليه لا يغير من حقيقة الحكم شيئاً[١].

لكن متى يباح التشبه بغير المسلمين؟

يكون التشبه بهم على حسب تقدير المصالح، ودفع المضار، ورفع الحرج عن المسلم، فأخذ العلوم والفنون وأصول الصنائع عنهم لا محذور وراءه، ولا محظور أمامه، ومن هي في أيديهم الآن من أهل المغرب أخذوها منا فهذبوا ونقحوا واستنبطوا، لكن لا نيأس من روح الله، {وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ } [آل عمران: ١٤٠][٢].

نهى الإسلام عن التشبه:

لقد بيَّنَ الله عز وجل القدوة المثالية التي يجب أن يتأسى بها كل مسلم ومسلمة فقال سبحانه: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ

(١) قال شيخ الإسلام: قد ذكرنا من دلائل الكتاب والسنة والإجماع والآثار والاعتبار، ما دل على أن التشبه بهم في الجملة منهي عنه، وأن مخالفتهم في هديهم مشروع، إما إيجابا، وإما استحبابا بحسب المواضع. وقد تقدم بيان: أن ما أمر به من مخالفتهم: مشروع، سواء كان ذلك الفعل مما قصد فاعله التشبه بهم، أو لم يقصد، وكذلك ما نهي عنه من مشابهتهم: يعم ما إذا قصدت مشابهتهم، أو لم تقصد؛ فإن عامة هذه الأعمال لم يكن المسلمون يقصدون المشابهة فيها، وفيها ما لا يتصور قصد المشابهة فيه، كبياض الشعر، وطول الشارب، ونحو ذلك. ثم اعلم أن أعمالهم ثلاثة أقسام:
- قسم مشروع في ديننا، مع كونه كان مشروعا لهم، أو لا يعلم أنه كان مشروعا لهم لكنهم يفعلونه الآن.
- وقسم كان مشروعا ثم نسخه شرع القرآن.
- وقسم لم يكن مشروعا بحال، وإنما هم أحدثوه. وهذه الأقسام الثلاثة: إما أن تكون في العبادات المحضة، وإما أن تكون في العادات المحضة، وهي الآداب، وإما أن تجمع العبادات والعادات. انظر كتاب "اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم" لابن تيمية (١/ ٣٧٤)، ومحاضرة بعنوان "قواعد وضوابط في مسألة التشبه بالكفار" للشيخ خالد عثمان.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (١/ ٤٧١)، وانظر مقال بعنوان "التشبه والاقتداء" للشيخ محمد رشيد رضا مجلة المنار (١/ ٥٥١).

وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا}[الأحزاب: ٢١]. وفي الآية دلالة على فضل الاقتداء بالنبيﷺ وأنه الأسوة الحسنة لا محال، وجعل متعلَق الائتساء ذات الرسول ﷺ دون وصف خاص ليشمل الائتساء به في أقواله بامتثال أوامره واجتناب ما ينهى عنه، والائتساء بأفعاله من الصبر والشجاعة والثبات(١).

ولقد أمر الله عز وجل نبيهﷺ أن يهجر الشرك وأهله، لأنه لا يمكن أن يجتمع الشرك مع الإيمان، فإذا وقع هذا رفع ذاك، وإذا وقع ذاك رفع هذا، كما أنّ الليل والنهار لا يجتمعان فكذلك الشرك والإيمان. ولقد جاء دين الإسلام آمرًا أتباعه بالبعد عن كل ما فيه تقريب من الشرك وأهله، وجاء بالنهي عن كل ما فيه مشابهة للمشركين أو مماثلة لهم. فكان من أول ما نزل من القرءان، قوله تعالى: {وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ} [المدثر: ٥].

قال الطبري: الرجز: آلهتهم التي كانوا يعبدون؛ أمره أن يهجرها، فلا يأتيها، ولا يقربها(٢).

وقال السعديرحمه الله: ويحتمل أن المراد بالرجز أعمال الشر كلها وأقواله، فيكون أمرًا له بترك الذنوب، صغيرها وكبيرها، ظاهرها وباطنها، فيدخل في ذلك الشرك وما دونه(٣).

أسباب الوقوع في التشبه:

١-مكائد الكفار للإسلام والمسلمين: إن أعداء الدين منذ ظهور الإسلام حريصون كل الحرص ولازالوا يسعون بكل الطرق لهدم الإسلام وإيذاء المسلمين، قال تعالى: {وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ }[البقرة: ١٢٠].

---

(١) التحرير والتنوير (٢١/ ٣٠٣).

(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ١٣).

(٣) تفسير السعدي (ص: ٨٩٥).

وقال سبحانه: {وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ}[البقرة: ١٠٩] وقال: {إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ}[آل عمران: ١٤٩].

والمتأمل لواقع المسلمين الآن -بل واقع العالم كله- يدرك تكالب الكفار على الأمة المسلمة اليوم بمحاولة فرض كل أمور الكافرين عليهم من عقائد، ومن عادات، ومن أنظمة، ومن سياسات، ومن أخلاق. . وغيرها، وصدق رسول اللهﷺ إذ يقول: ((يُوشِكُ الأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا، فَقَالَ قَائِلٌ وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ قَالَ: بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ وَلَيَنْزِعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِى قُلُوبِكُمُ الْوَهَنَ. فَقَالَ قَائِلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْوَهَنُ قَالَ: حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ))[١].

٢-الجهل بأحكام الدين:

إِنَّ الْمُحَرَّمَاتِ جَمِيعَهَا مِنْ الْكُفْرِ وَالْفُسُوقِ وَالْعِصْيَانِ إنَّمَا يَفْعَلُهَا الْعَبْدُ لِجَهْلِهِ، وأَصْلُ وُقُوعِ السَّيِّئَاتِ مِنْهُ عَدَمُ الْعِلْمِ[٢]. ومن شؤم الجهل قد استعاذ منه الأنبياء كما حدث مع موسىعليه السلام في قصة البقرة قال: {أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ } [البقرة: ٦٧]. واستعاذ من الجهل نبيناﷺ، فعن أُمِّ سلمةَ، قالت: ما خرَجَ النبي ﷺ مِن بيتي قطُّ إلا رفعَ طَرْفهُ إلى السماءِ فقال: "اللَّهُم اني أعوذُ بِكَ أن أَضِلَّ أو أُضَلَّ، أو أَزِلَّ أو أُزَلَّ، أو أَظْلِمَ أو أُظلَمَ، أو أجهَل أو يُجْهَل عَلَيَّ "[٣]. فالبعض من الناس إلا من رحم ربك،

(١) أخرجه داود(٤٢٩٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٣٢٥٧).
(٢) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (١٤/ ٢٢) مختصرًا.
(٣) أخرجه أبوداود (٥٠٩٤)، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (٢٤٤٢).

يقعون في التشبه من حيث علموا أم لم يعلموا، بل وبعضهم يستسهل الأمر، والبعض ينبهر بالتقدم المادي مع جهله بحقيقة الحضارة الغربية، فظاهرها بريق ولمعان، وباطنها دمار للأخلاق والقيم، ومن عاش هناك ولو يسيرًا عرف ذلك وأيقَنه.

٣-كثرة النفاق والمنافقين:

إن النفاق أمرٌّ وأمضى من السيف على رقاب الأمم، وإذا نظرت إلى هلاك أية أمة تجد أن النفاق لعب دوراً كبيراً في هلاكها، وما نراه اليوم في زماننا من ظهور طائفة من المنافقين يسعون لنشر الشبهات والأباطيل حول القرءان والسنة والصحابة، عبر بعض (شاشات التلفاز)، فباتت تلك الطائفة تكيد بالإسلام والمسلمين وسعوا لإبراز الباطل وأهله والحط من شأن الحق وأهله، وصدق الله إذ يقول: {وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ } [المنافقون: ٤]. فذكر أن هؤلاء المنافقين خُشُب مسنَّدة لا خير عندهم ولا فقه لهم ولا علم، وإنما هم صور بلا أحلام، وأشباح بلا عقول، ومع ذلك انخدع الكثير من شباب وشابات المسلمين بأقوالهم وأفعالهم، واقتبسوا منهم كل رديءٍ، ولقد توعَّد اللهُ الذين يسعون بالفساد بالعذاب الأليم فقال سبحانه: {إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } [النور: ١٩].

صور التشبه:

إن التشبه بغير المسلمين فيه استعباد وتبعية مهينة، ولقد بيَّن الله تعالى لنا الطريق وحذرنا من التفريق فقال: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [الأنعام: ١٥٣]، قال الطبري رحمه الله: [فَاتَّبِعُوهُ] أي: فاعملوا به، واجعلوه لأنفسكم منهاجًا تسلكونه، [وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ]

ولا تسلكوا طريقًا سواه، ولا تركبوا منهجًا غيره، ولا تبغوا دينًا خلافه[١]. ومن صور التشبه بغير المسلمين:

(أ)التشبه في الأمور العقائدية: وهذه من أخطر مظاهر التشبه، ولقد جاءت السنة بإلحاق من تشبه بغير المسلمين أنه منهم، وقال النبي ﷺ: "لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَشَبَّهَ بِغَيْرِنَا، لَا تَشَبَّهُوا بِاليَهُودِ وَلَا بِالنَّصَارَى"[٢].

وقال المناوي رحمه الله في قوله ﷺ: "من تشبه بقوم فهو منهم" أَي حكمه حكمهم لِأَن كل مَعْصِيّة مِيرَاث من أمة من الْأُمَم الَّتِي أهلكها الله تَعَالَى فَكل من لابس مِنْهَا شَيْئا فَهُوَ مِنْهُم[٣].

وقَالَ الطِّيبِيُّ رحمه الله: هَذَا عَامٌّ فِي الْخَلْقِ وَالْخُلُقِ وَالشِّعَارِ. ولقد حرص الإسلام كل الحرص في تكوين شخصية مستقلة للفرد المسلم وللمجتمع الإسلامي مستوحاة من الكتاب والسنة لإبراز ذاتيته، بحيث لا يكون المسلم إمعة يقلد بدون وعي، أو إدراك، لذا جاء النهي عن مشابهة الكفار ومشاكلتهم لما في ذلك من تأثير على العقيدة؛ لأن التشبه بالكفار في الظاهر يورث المودة والمحبة، ويكون تابعاً لهم، وهذا ينافي الإيمان،

والله سبحانه وتعالى يريد العزة والكرامة للمسلم، قال تعالى: {وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ} [المنافقون: ٨][٤].

---

(١) تفسير الطبري (١٢/ ٢٢٨).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٩٥)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٥٤٣٤).

(٣) التيسير بشرح الجامع الصغير (١/ ٤٣٤).

(٤) الإيضاح والتبيين لما وقع فيه الأكثرون من مشابهة المشركين، لحمود التويجري (ص: ٢٥٤).

ومن أمثلة التشبه بالكفار في العقائد، صرف العبادة لغير الله كما يفعله القبوريون في أوليائهم وهو أشبه بمشركي العرب قديمًا، ومنها الغلو في الدين، والاختلاف فيه والرهبانية، وتعطيل الحدود، واتخاذ القبور مساجد، والمغالاة في الأنبياء والصالحين، وبعض الشركيات الأخرى؛ ، ونتيجة لذلك انحرف الكثير من أبناء هذه الأمة عن دينهم وظهر فيهم الكفر والزندقة والإلحاد.

(ب)التشبه في الأعياد:

والنهي عن التشبه بالكفار يعم كل ما هو من سماتهم؛ ومما نهي عنه التشبه بالكفار في أعيادهم، فالله سبحانه وتعالى لم يشرع للمسلمين سوى عيدين كما قال النبيﷺ لأهل المدينة: " قَدِمْتُ عَلَيْكُمْ وَلَكُمْ يَوْمَانِ تَلْعَبُونَ فِيهِمَا، فَإِنَّ اللهَ قَدْ أَبْدَلَكُمْ يَوْمَيْنِ خَيْرًا مِنْهُمَا، يَوْمَ الْفِطْرِ، وَيَوْمَ النَّحْرِ "(١).

قال ابن حجررحمه الله: واستُنبط منه كراهة الفرح في أعياد المشركين والتشبه بهم وبالغ الشيخ أبو حفص الكبير النسفي من الحنفية فقال من أهدى فيه بيضة إلى مشرك تعظيمًا لليوم فقد كفر بالله تعالى(٢).

وقال تعالى: { وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا } [الفرقان: ٧٢]. أي: إذا مرّوا بما كان المشركون فيه من الباطل مرّوا منكرين له(٣). ويحتمل النهي عن حضور كل موضع يجري فيه ما لا ينبغي ويدخل فيه أعياد المشركين ومجامع الفساق(٤).

---

(١) أخرجه أحمد (١٢٨٢٧)، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٠٢١).

(٢) فتح الباري لابن حجر (٢/ ٤٤٢).

(٣) تفسير الطبري (١٩/ ٣١٥).

(٤) انظر مفاتيح الغيب للرازي (٢٤/ ٤٨٥)، والدر المنثور للسيوطي (٦/ ٢٨٢).

ومن أمثلة التشبه بغير المسلمين في الأعياد ما يسمونه بالأعياد الوطنية والقومية، وكعيد الميلاد، وعيد الأم، وعيد الحب. . . وغيرها مما لا أصل في شرعنا والله المستعان.

(ج)التشبه في العادات والأخلاق والسلوك:

لقد حذر النَّبِيُّ ﷺ أمته من مثل ذلك فقال: ((لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ"، قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ: اليَهُودَ، وَالنَّصَارَى قَالَ: "فَمَنْ؟))[1].

قال محمد بن الحسين الآجريرحمه الله: من تصفح أمر هذه الأمة، علم أن أكثرهم العام منهم يجري أمورهم على سنن أهل الكتابين، كما قال النبي ﷺ، وعلى سنن كسرى وقيصر وعلى سنن أهل الجاهلية، **وذلك مثل** أمر المصائب والأفراح والمساكن واللباس والحلية، والأكل والشرب والولائم، والبيع والشراء، والمكاسب، وأشباه لما ذكرت يطول شرحها تجري بينهم على خلاف السنة والكتاب، وإنما تجري بينهم على سنن من قبلنا، كما قال النبي ﷺ، ما أقل من يتخلص من البلاء الذي قد عم الناس، **ولن يميز هذا إلا عاقل عالم قد أدبه العلم**، والله الموفق لكل رشاد، والمعين عليه[2]. ذلك وصف الآجري لحال الأمة في زمانه(**٣٦٠**هـ) فكيف لو أدرك زماننا؟! !. ومما شاع في زماننا من مظاهر التشبه بغير المسلمين في العادات والأخلاق والسلوك: كحلق اللحى، ولبس ما هو من شعار الكفار كالملابس التي عليها الصلبان، وكتبرج النساء، واختلاط الرجال بالنساء والنساء بالرجال، وتشبه الرجال بالنساء والعكس، وكوصل الشعر عند النساء والقَزَع عند الرجال، وإسبال الثياب عند الرجال، ومنها الاعتماد في

---

(١) أخرجه البخاري(**٣٤٥٦**).

(٢) الشريعة للآجري (١/ **٣٢٣**).

المواقيت على الأشهر الإفرنجية متابعة للغرب، ورغبةً عما كان عليه المسلمون من الاعتماد في ذلك على الأشهر العربية، ومنها التحدث باللغات الأجنبية لغير الحاجة. . . وغيرها، وكل هذه الأمور في الشرع دليل على تحريمها إما من الكتاب أو السنة.

المخرج من الفتنة:

لا شك أن آفة التشبه بغير المسلمين، في أزيائهم وعاداتهم وأحكامهم وسياساتهم واقتصادهم قد جرى في كثير من أوساط المسلمين جريان الدم في العروق، وسرى سريان النار في يابس الحطب، بل نجد في زماننا أن الذي يتمسك بتقاليد الغرب وعاداتهم ينعتونه بالمتحضر، ومواكب العصر وأشباه ذلك من ألقابهم والله المستعان، ولا مخرج من هذه الفتن إلا بالتضرع لله عز وجل وصدق الدعاء، والتمسك بهدي النبيﷺ، قال تعالى: {فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ} [الذاريات: ٥٠]، أي: فاهربوا أيها الناس من عقاب الله إلى رحمته بالإيمان به، واتباع أمره، والعمل بطاعته، وقال الشهاب: الأمر بالفرار من العقاب، المراد به الأمر بالإيمان والطاعة، لأنه لأمنه من العقاب بالطاعة، كأنه فَرَ لمأمنه. فهو استعارة تمثيلية[1]. ولنعلم أن التشبه بالكفار والمشركين فيه مفاسد كبيرة كالشك في عقائد الدين، والطعن في القرءان والسنة، وتضييع الفرائض واستحلال المحرمات والتجاهر بالمنكرات كأكل الربا وشرب الخمر والتبرج والسفور وغيرها من المنكرات.

لكن ليس كل تشبه مذموم فهناك تشبه ممدوح أُمرنا به كالتشبه والتأسي بالأنبياء والصحابة والتابعين والعلماء الربانيين، ولله در القائل:

فتشبّهوا إنْ لم تكونوا مثلَهم ... إنّ التشبّهَ بالكِرامِ فَلاحُ

(١) انظر تفسير الطبري (٢٢/ ٤٤٠)، و محاسن التأويل للقاسمي (٩/ ٤٥).

ولا شك أن الاقتداء بهؤلاء فيه النجاة في الدنيا والآخرة، وقد بين الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ الغاية الأساسية من صحبة الأخيار والاقتداء بهم فقال: "فإنما يراد من صحبة الأخيار صلاح الأعمال والأحوال والاقتداء بهم في ذلك، والانتقال من الغفلة إِلَى اليقظة، ومن البطالة إِلَى العمل، ومن التخليط إِلَى التكسب، ومن القول والفعل إِلَى الورع، ومعرفة عيوب النفس وآفاتها واحتقارها، فأما من صحبهم وافتخر بصحبتهم وادعى بذلك الدعاوى العريضة وهو مُصرٌ عَلَى غفلته وكسله وبطالته، فهو منقطع عن الله من حيث ظن الوصول إِلَيْهِ، كذلك المبالغة في تعظيمِ الشيوخ وتنزيلهم منزلة الأنبياء هو مما نهي عنه"(١).

(١) مجموع رسائل ابن رجب (١/ ٢٥١).

وقفات مع وصايا لقمان لابنه

كثيرًا ما نقرأ سورة لُقمان، لكن ما أحوجَنا إلى وقفة تأمُّل وتدبر ثم التطبيق العملي لمَا تَحمِله وصايا لُقمان مِن مَناهِجَ تربويَّةٍ وتعليميَّة، وتقويم للسُّلوك؛ نقلها الله لنا في القرآن وسمى السورة باسمه لننتبه إلى ما انتهَجه "الأب" لُقمان مع ابنه؛ لِيَجعل منه رجلاً صالحًا، نافعًا لِمُجتَمعه، بأسلوب تربويٍّ رفيع.

من هو لقمان؟

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: اخْتَلَفَ السَّلَفُ فِي لُقْمَانَ، عَلَيْهِ السَّلاَمُ: هَلْ كَانَ نَبِيًّا، أَوْ عَبْدًا صَالِحًا مِنْ غَيْرِ نُبُوَّةٍ؟ عَلَى قَوْلَيْنِ، الْأَكْثَرُونَ عَلَى الثَّانِي. (١)

ولكن الله تعالى وصفه بوصف يحتاجه كلّ مربٍّ في تعامله مع مَن يربيه، فقد وصفه بالحكمة فقال تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ} [لقمان: ١٢]

والحكمة رزق عظيم يؤتيه الله من يشاء من عباده: {يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا} [البقرة: ٢٦٩]

الوقفة الأولى مع قوله تعالى {وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ}

ويستفاد منها أهمية دور الأسرة - والأب خاصة - في تحمل مسؤولية التربية، لأن التربية عبارة عن مجموعة من القيم والأصول والأخلاق التي يكتسبها الأبناء من خلال رؤيتهم ومعايشتهم لآبائهم وأمهاتهم أو ما يغرسه المربون من قيم وأخلاق فيمن يربون.

---

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ٣٣٣)

مشى الطاووسُ يوماً باختيال. . . فقلدَ شكل مشيته بنوهُ

فقالَ علامَ تختالونَ؟ قالوا:. . . بدأت به ونحن مقلدوهُ

فخالف سيركَ المعوجَّ واعدل. . . فإنا إن عدلت معدلوه

أما تدري أبانا كلّ فرعٍ. . . يحاكي في الخطى من أدبوه

وينشأ ناشئ الفتيان منا. . . على ما كان عوَّده أبوه

وما دان الفتى بحِجى، ولكن. . . يعوِّده التديُّنَ أقربوه

ويؤكد هذا المعنى **حديث أَبِي هُرَيْرَةَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ((كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ)). (١)

فلقد خلق الله تعالى عباده جميعا على الفطرة السوية ولكن يأتي بعض شياطين الجن والإنس ليغيروا هذه الفطرة وينكسوها كما **قال تعالى** { لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (٤) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (٥) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ } [التين: ٤ - ٦]

وعَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: قال الله تعالى: ((خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا)). (٢)

(١) رواه البخاري (١٣٨٥) ومسلم (٢٢)

(٢) رواه مسلم (٢٨٦٥)

لذلك كانت المسؤولية على الأبوين في المحافظة على هذه الفطرة من الطمس والتغيير، قال تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ} [التحريم: ٦]

قال عَلِيّ بْن أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عَلِّمُوهُمْ، وَأَدِّبُوهُمْ.

وقال ابْن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: اعْمَلُوا بِطَاعَةِ اللَّهِ، وَاتَّقُوا مَعَاصِيَ اللَّهِ، ومُرُوا أَهْلِيكُمْ بِالذِّكْرِ، يُنْجِيكُمُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ.

وقال قَتَادَة رَحِمَهُ اللَّهُ: يَأْمُرُهُمْ بِطَاعَةِ اللَّهِ، وَيَنْهَاهُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ، وَأَنْ يَقُومَ عَلَيْهِ بِأَمْرِ اللَّهِ يَأْمُرُهُمْ بِهِ وَيُسَاعِدَهُمْ عَلَيْهِ، فَإِذَا رَأَيْتَ لِلَّهِ مَعْصِيَةً رَدَعْتَهُمْ عَنْهَا، وَزَجَرْتَهُمْ عَنْهَا. (١)

فعلى الآباء أن يستشعروا أهمية هذه التربية المنوطة بهم، وأنه من الإساءة للأبناء والإخلال بالأمانة التي استودعها الله لهم أن يتركوهم بدون تربية وتوجيه لأنهم مسؤولون عنها أمام الله تعالى، **عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُ: سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: ((كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالإِمَامُ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا)). (٢)

وعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ((إِنَّ اللهَ سَائِلٌ كُلَّ رَاعٍ عَمَّا اسْتَرْعَاهُ، أَحَفِظَ ذَلِكَ أَمْ ضَيَّعَ؟ حَتَّى يُسْأَلَ الرَّجُلُ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ)). (٣)

وقد حذّر النبي ﷺ من تضييع هذه الأمانة وبيَّن عاقبة ذلك، **فعن مَعْقِل بْن يَسَارٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: ((مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللهُ رَعِيَّةً، يَمُوتُ يَوْمَ

---

(١) راجع تفسير الطبري (٢٣/ ١٠٣) وتفسير ابن كثير (٨/ ١٦٧)

(٢) رواه البخاري (٨٩٣) ومسلم (١٨٢٩)

(٣) رواه النسائي (٩١٢٩) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٣٦٥)

يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ، إِلَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ)). **وفي رواية**: ((فَلَمْ يَحُطْهَا بِنَصِيحَةٍ، إِلَّا لَمْ يَجِدْ رَائِحَةَ الجَنَّةِ)). (١)

الوقفة الثانية مع قوله تعالى {وَهُوَ يَعِظُهُ }.

سماها الله تعالى موعظة وهي: التذكير بكلام يلين له القلب وينشرح له الصدر فيكون بذلك ادعى لقبول السامع، فلنتبه لذلك؛ فليست التربية توبيخا ولا تقريعا ولا تقنيطا ولا استهزاء، ومن هنا نعلم سبب الفجوة التي توجد بين الكثير من الأبناء وآبائهم؟!

الوقفة الثالثة مع قوله {يَا بُنَيَّ }

إنها كلمة تحمل كل معاني الاستعطاف والحرص والشفقة والرحمة، وهي أيضا تذكيرٌ بالصلة الوثيقة التي تربط بين المتكلم والسامع وهي (صلة البنوة) التي هي من أوثق الصلات بين بني الإنسان؛ فهذه الكلمة تكسر كل حواجز وموانع التمرد من قِبَل الأبناء لذلك **انتهَجها إبراهيم مع ابنه إسماعيل حين أمره الله بذبحه**، قال تعالى: {فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى } فما كان لهذا الابن البار بأبيه إلا أن يُبادله هذا الحب والاستعطاف، فيقول: {يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ } [الصافات: ١٠٢].

وكذلك نوح ينتهجها مع ابنه الكافر المعاند، قال تعالى: { وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ} [هود: ٤٢]

وهذا رسول الله ﷺ يستخدمها مع غلامٍ يخدمه، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((يَا بُنَيَّ)). (٢) وكأنه يفخر بها ويتباهى وحُقَّ له ذلك.

---

(١) رواه البخاري (٧١٥٠) ومسلم (١٤٢) واللفظ له

(٢) رواه مسلم (٢١٥١)

وها هو لقمان الحكيم يِسلُك نفْسَ المسلك، ويَنتهِج نفْسَ المنهَج؛ منهَج الاستِعطاف لما في ذلك من سرعة استجابة الابن لما يسمع من أبيه.

الدرس الأول: التربية تبدأ بتصحيح الاعتقاد

انتهَج لقمان مِنهاج التدرُّج في التَّلقين، وابتدأ بأصول المسائل وأهمِّها ألا وهي العقيدة، **والبداية في التربية على العقيدة منهج نبوي** أصيل، فهذا نوح عليه السلام يوصي ولده بالتوحيد، **فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو** رضي الله عنهما، قَالَ: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((إِنَّ نَبِيَّ اللهِ نُوحًا ﷺ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ لِابْنِهِ: آمُرُكَ بِلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، فَإِنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ، وَالأَرْضِينَ السَّبْعَ، لَوْ وُضِعَتْ فِي كِفَّةٍ، وَوُضِعَتْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ فِي كِفَّةٍ، رَجَحَتْ بِهِنَّ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ)). (١)

وقال تعالى عن إبراهيم: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ } [إبراهيم: **٣٥**]

وقال الله تعالى عن إمام الحنفاء وهو يوصي أبناءه: {وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ } [البقرة: **١٣٢**]

وهذا يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم يوصي أبناءه: { أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} [البقرة: **١٣٢، ١٣٣**]

لذلك يخرج من صلبه هذا النبي العظيم يوسف عليه السلام شاب ينسى كلَّ مآسي السجن ويدعو إلى التوحيد الذي تربى عليه: {وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ

(١) رواه أحمد (٢/ ١٧٠) وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ٢٥٩)

وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (٣٨) يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ } [يوسف: ٣٨، ٣٩]

ومن ذريته أيضا خاتم النبيين محمد ﷺ يبدأ ويلقن الغلمان العقيدة الصحيحة، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا، فَقَالَ: ((يَا غُلاَمُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلاَمُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ)). (١)

وقال ﷺ **لمعاذ بن جبَل وهو شاب صغير:** ((يَا مُعَاذُ، هَلْ تَدْرِي حَقَّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَمَا حَقُّ العِبَادِ عَلَى اللَّهِ؟))، قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: ((فَإِنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلَى العِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقَّ العِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لاَ يُعَذِّبَ مَنْ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا)). (٢)

لماذا التحذير من الشرك؟

قال تعالى عن لقمان: { يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ } [لقمان: ١٣].

لقد وصَف لقمانُ الشِّركَ بالله بأنه ظُلم عَظيم، لأن الظلم وضع الشيء في غير موضعه، فالمشرك وضع العبادة في غير موضعها وصرفها لغير مستحقها وسوّى بين الخالق المالك المدبر وبين المخلوق الضعيف، لذلك أنكر الله على أهل الشرك قائلا: { أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ } [النحل: ١٧] فهذا أعظم الظلم والطغيان

(١) رواه أحمد (٢٧٦٣)، والترمذي (٢٥١٦) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١٣١٨)
(٢) رواه البخاري (٢٨٥٦) ومسلم (٣٠)

لذلك كان الشرك أعظم الذنوب، كما في حديث **عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود** رضي الله عنه، قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ؟ قَالَ: ((أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ)). (١)

وعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنِ الكَبَائِرِ، قَالَ: ((الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ)). (٢)

وحذره من الشرك أيضا لأن الله تعالى لا يغفره إن مات عليه صاحبه، لقوله تعالى: { إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا } [النساء: ١١٦].

وهو سبب حبوط جميع الأعمال: { وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [الزمر: ٦٥]

وهو سبب الحرمان من الجنة والخلود في النار {إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ} [المائدة: ٧٢]

الدرس الثاني: التربية على الإحسان إلى والوالدين وبرهما

قال تعالى: { وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ } [لقمان: ١٤].

لقد اقترنَت وحدانيَّة الله تعالى ببرِّ الوالِدَين في القرآن الكريم في أكثر مِن مَوضِع؛ مما يدلُّ على أنَّ هذا الاقتران جاء لِيُنبِّه إلى قدْر الوالدَين ومكانتهما، وإلى أنَّ عُقوقهما هو أكبر جُرم يُقترَف بعد الشِّرك بالله، **فجاء التنبيه على برهما والإحسان** إليهما في أكثر من موضع منها: قال تعالى: {وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا} [الإسراء: ٢٣]

---

(١) رواه البخاري (٤٤٧٧) ومسلم (٨٦)

(٢) رواه البخاري (٢٦٥٣) ومسلم (٨٨)

وقال تعالى { وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا} [النساء: ٣٦]

وقال تعالى { قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا} [الأنعام: ١٥١]

وخصَّ الله تعالى ذكر الأمِّ في قوله سبحانه {حَمَلَتْهُ أُمُّهُ. . . } تنبيها لما قاسته من تعب ومشقة في الحمل والولادة والرضاعة والرعاية في الصغر لذلك خصها الشرع أيضا بمزيد من البر والإحسان، **فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ** ﷺ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: ((أُمُّكَ)) قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ((ثُمَّ أُمُّكَ)) قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ((ثُمَّ أُمُّكَ)) قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ((ثُمَّ أَبُوكَ)). (١)

وجاء التحذير الصريح من التعرض لهما أو لأحدهما بأدنى نوع من العقوق، قال تعالى { فَلاَ تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا } [الإسراء: ٢٣]

وجعل النبي ﷺ عقوقهما من أكبر الكبائر كما في **حديث أَبِي بَكْرَةَ** ﷺ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ((أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ؟)) ثَلاَثًا، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: ((الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ. . .)). (٢)

وعَنْ أَنَسٍ ﷺ، قَالَ: سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنِ الكَبَائِرِ، قَالَ: ((الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ. . .)). (٣)

الدرس الثالث: اختيار الصحبة الصالحة

(١) رواه البخاري (٥٩٧١) ومسلم (٢٥٤٨)

(٢) رواه البخاري (٢٦٥٤) ومسلم (٨٧)

(٣) رواه البخاري (٢٦٥٣) ومسلم (٨٨)

قال تعالى: { وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ } [لقمان: ١٥]. يَعني: اقتفِ أثر الصالِحين، واقْتدِ بعمل الفالِحين، وسرْ على طريقتِهم، وصاحب مَن سلك طريق التوبة إلى الله.

فاختيار الصُّحبَة للأبناء هو اختيار للقِيَم التي نُريد غرْسَها فيهم، وتَحديدٌ للطَّريق الذي نُريد أنْ يَسلكوه؛ لذا فإن مَسؤوليَّة اخْتيار الصُّحبة الصالِحة، وإبعاد الأبناء عن رُفَقاء السُّوء - مُلقاة على كاهِل الآباء. **قال الغزالي** رَحِمَهُ اللَّهُ: وَأَصْلُ تَأْدِيبِ الصِّبْيَانِ الْحِفْظُ مِنْ قُرَنَاءِ السُّوءِ. (١)

وقد بيَّن النبي ﷺ أثر الرفيق والصاحب إيجابًا وسلبًا فقَالَ ﷺ: ((إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ، وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ، كَحَامِلِ الْمِسْكِ، وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ: إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً)). (٢)

عَنْ أَيُّوبَ السختياني قَالَ: إِنَّ مِنْ سَعَادَةِ الْحَدَثِ - الصغير - وَالْأَعْجَمِيِّ أَنْ يُوَفِّقَهُمَا اللَّهُ لِعَالِمٍ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ.

وقال يُوسُف بْن أَسْبَاطٍ: كَانَ أَبِي قَدَرِيًّا، وَأَخْوَالِي رَوَافِضَ، فَأَنْقَذَنِي اللَّهُ بِسُفْيَانَ الثوري. (٣)

الدرس الرابع: التربية على المراقبة الذاتية

قال تعالى عن لقمان: { يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ } [لقمان: ١٦].

---

(١) موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين (ص: ١٨٤)

(٢) رواه البخاري (٥٥٣٤) ومسلم (٢٦٢٨) من حديث أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ٦٦) وما بعدها

إنها وصيَّة ودَرسٌ يَقتضي بموجبه استِحضار مُراقَبة الله لأعمالنا، فكلُّ فعْلٍ وكل تصرُّف، وكلُّ عمَل يأتيه الإنسان، بلْ وكل نجوى، وكلُّ همْس، وكلُّ خائنة عَين إلا وقد عَلِم الله هذا الفِعل، ومَن فعَله، ولِمَ فعَله، ومتَى فعَله، وأين فعَله، وكيف فعَله، ويوم القيامة يُجازيه عليه ويُنبِّئه به، فإنْ كان خَيرًا فخيرًا، وإن كان شرًّا فشرًّا، قال تعالى: { وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ } [الأنبياء: ٤٧].

وقال تعالى { فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ } [الزلزلة: ٧، ٨]

ما أجمل أن نغرس في قلوب أبنائنا هذه الوصية الرائعة: إياك أن يراك الله حيث نهاك وأن يفقدك حيث أمرك.

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ)). (١)

وقال تعالى: {وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ } [يونس: ٦١]

الدرْس الخامِس: الوصية بالواجبات

ومنها المحافظة على الصلاة، قال تعالى عن لقمان: { يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاَةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ } [لقمان: ١٧].

---

(١) رواه الترمذي (١٩٨٧) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٨١)

الدَّعوة لإقامة الصَّلاة والحِفاظ عليها بأركانها وأوقاتها وآدابها وخُشوعِها؛ فهي تَنهى عن الفَحشاء والمُنكَر، وتروض النفْس، وتُهذِّب الرُّوح، وتَمنعُها مِن إتيان المُنكَرات، وتَحضُّها على فعْل الخَيرات، وهي صلة بين العبد وربِّه، مَن حافظَ عليها كان الله حافِظًا له، ومَن أهملَها وضيعها تَعِس وشَقِي في حيَاته وآخرته إلا أن يتوب إلى الله تعالى.

قال الله تعالى لنبيه ﷺ وللمؤمنين تبعا له{ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاَةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا} [طه: **١٣٢**]

وأثنى الله على نبيه إسماعيل عليه السلام: { وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا} [مريم: **٥٥**]

وفي حديث النبي ﷺ: ((مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلاَةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا، وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ)). (١)

قال البيهقي رحمه الله في السنن الكبرى: باب ما على الآباء والأمهات من تعليم الصبيان أمر الطهارة والصلاة. (٢)

- ومنها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

قال تعالى عن لقمان: { وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ }.

ثم يَدعو لقمان ابنه أن يأمُر بالمعروف ويَنهى عن المُنكَر، وهو انتِقال إلى دعوة الناس وإصلاح حالهم، وأمْرِهم بالمعروف ونهْيِهم عن المُنكَر، والتزوُّد قبل ذلك كله للمَعركة مع الشرِّ بالزَّاد الأصيل، زادِ العبادة لله والتوجُّه إليه بالصَّلاة.

---

(١) رواه أبو داود (٤٩٥) والبزار (٩٨٢٣) وغيرهما من حديث أبي هريرة وابن عمرو وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١٠٢٢)

(٢) ثم ساق بسنده الحديث المتقدم. السنن الكبرى للبيهقي (٣/ ٨٣)

- إن امتلاك روح المبادرة البناءة، والشجاعة الأدبية، وصف نادر في صفوف ناشئتنا، لأسباب متعددة، لعل من أهمها عدم الدربة، والخوف من التبكيت وإهمال التربية على ذلك فلا ينبغي أن نقلل من شأن أبنائنا في الجانب الدعوي بما يتناسب مع حالهم فبأمثالهم غيَّر الله حال أمم ولنعتبر بغلام الأخدود.

الدرس السادس: الوصية بالأخلاق الحميدة والتحذير من ضدها

- **ومن ذلك الصبر**: قال تعالى عن لقمان { وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ }

علم لقمان أن الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر، لا بد أن يناله من الناس أذى، فأمره بالصبر. (١)

والصبر من أمهات الأخلاق الإنسانية، ومن أجلِّ الأخلاق الإسلامية، وأعظمها أجراً، وأحمدها عاقبة في الدنيا والآخرة، ولهذا فهو أصل تفرعت عنه كثير من الأخلاق الفاضلة، فعَنْ **أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ** رضي الله عنه أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: ((وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ)). (٢)

- ومن ذلك التنفير من الكبر وازدراء الناس:

قال تعالى عن لقمان: { وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ }. أي لا تُعرض بوجهك عن الناس إذا كلَّمتهم أو كلموك، احتقارا منك لهم، واستكبارا عليهم ولكن ألن جانبك، وابسط

---

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ٣٣٨)

(٢) رواه البخاري (١٤٦٩) ومسلم (١٠٥٣)

وجهك إليهم. (١) كما في حديث **أَبِي ذَرٍّ** رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ لِيَ النَّبِيُّ ﷺ: ((لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ)). (٢)

-ومن ذلك ذم الخيلاء والفخر:

قال تعالى عن لقمان { وَلا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ }.

أي: بطرا، فخرا بالنعم، ناسيا المنعم، معجبا بنفسك، فإن تفعل ذلك يبغضك الله؛ ولهذا قال: {إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ}. أي: مختال معجب في نفسه، فخور: أي على غيره، وقال تعالى: {وَلا تَمْشِ فِي الأرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الأرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولا} [الْإِسْرَاءِ: ٣٧]. (٣)

ومِن علامات التكبُّر المشْي في الأرض مرَحًا وخُيَلاء وعجبًا بالنفْس، وهذا مرَضٌ نفسِيٌّ يصيب الكثيرَ مِن الناس ويكون سببا في هلاكهم، فما سبب خسْفِ الله بقارون داره إلا هذا التكبُّر في الأفعال؛ { فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ }.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: ((بَيْنَمَا رَجُلٌ يَتَبَخْتَرُ، يَمْشِي فِي بُرْدَيْهِ قَدْ أَعْجَبَتْهُ نَفْسُهُ، فَخَسَفَ اللهُ بِهِ الْأَرْضَ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)). (٤)

-ومن ذلك الأمر بالوقار والسمت الحسن

قال تعالى عن لقمان{ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ }. أَيِ: امْشِ مَشْيًا مُقْتَصِدًا لَيْسَ بِالْبَطِيءِ الْمُتَبَطِّطِ، وَلَا بِالسَّرِيعِ الْمُفْرِطِ، بَلْ عَدْلًا وَسَطًا بَيْنَ بَيْنَ. (٥)

---

(١) تفسير ابن كثير(٦/ ٣٣٨)

(٢) رواه مسلم (٢٦٢٦)

(٣) تفسير ابن كثير(٦/ ٣٣٩) وتفسير السعدي (ص: ٦٤٩)

(٤) رواه البخاري (٥٧٨٩) ومسلم (٢٠٨٨)

(٥) تفسير ابن كثير(٦/ ٣٣٩)

فبدَل أنْ يَمشي الإنسان مُختالاً مُتكبِّرًا، وفي مِشيَته تَبختُر وتَعجرُف، وجَب عليه أن يَمشي مُقتصِدًا مُتواضِعًا، لا بطيئًا مُتبخترًا، ولا سريعًا مُتجبِّرًا.

-ومن ذلك الأمر باعتدال المنطق وأدب الحديث

إن الأعم الأغلب أن الشاب ينزع إلى رفع الصوت، والتشدق بالكلام، والتفاصح، كما هو جلي لدى المراهقين، الذين يجدون في ذلك تعبيراً عن القوة والسطوة الكاذبة، فكان بحاجة إلى الوصية بالغض من الصوت: { وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ }.

قال ابن كثير رحمه الله: أَيْ: لَا تُبَالِغْ فِي الْكَلَامِ، وَلَا تَرْفَعْ صَوْتَكَ فِيمَا لَا فَائِدَةَ فِيهِ؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: {إِنَّ أَنْكَرَ الأصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ} قَالَ مُجَاهِدٌ وَغَيْرُ وَاحِدٍ: إِنَّ أَقْبَحَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ، أَيْ: غَايَةُ مَنْ رَفَعَ صَوْتَهُ أَنَّهُ يُشَبه بِالْحَمِيرِ فِي عُلُوِّهِ وَرَفْعِهِ، وَمَعَ هَذَا هُوَ بَغِيضٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى. وَهَذَا التَّشْبِيهُ فِي هَذَا بِالْحَمِيرِ يَقْتَضِي تَحْرِيمَهُ وَذَمَّهُ غَايَةَ الذَّمِّ. (١)

قال السعدي رحمه الله: فلو كان في رفع الصوت البليغ فائدة ومصلحة، لما اختص بذلك الحمار، الذي قد عُلمتْ خسته وبلادته. (٢)

---

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ٣٣٩)

(٢) تفسير السعدي (ص: ٦٤٩)

منزلة الشكر

معنى الشكر　منزلة الشكر　نِعَمٌ يَغْفَلُ عنها الكثير
الأسباب المعينة على الشكر　ثمرات الشكر

مقدمة:

منذ أن استهل المرء صارخًا من بطن أمه وهو في نعم الله يتقلب صباحًا ومساءً، فلا تمر عليه لحظة من اللحظات إلا ولله عليه فيها نعمة من النعم التي تستلزم الشكر عليها.

قال سبحانه: {أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ} [لقمان: ٢٠]

فقد امتنَّ سبحانه على الناس بنعم كثيرة من شمس وقمر ونجم وسحاب ودابة وشجر وماء وبحر وفلك، وغير ذلك من المنافع، التي تجري كلها لمنافعهم ومصالحهم، ولغذائهم وأقواتهم وأرزاقهم وملاذّهم، يتمتعون ببعض ذلك كله، وينتفعون بجميعه، ثم مع هذا كله ما آمن الناس كلهم، بل منهم من يجادل في الله، أي: في توحيده وإرسال الرسل. ومجادلته في ذلك بغير علم، ولا مستند من حجة صحيحة، ولا كتاب مأثور صحيح[١]. بل إن الكثير من الناس -إلا من رحم ربك- من يقابل كل هذه النعم بالكفر والجحود والنكران، والنعمة إن لم تقابل بالشكر قُلِبَتْ نقمةً على أصحابها.

معنى الشكر:

(١) انظر تفسير الطبري (٢٠/ ١٤٧)، وتفسير ابن كثير (٦/ ٣٤٧).

قال ابن منظور: "الشُّكر، عرفان الإحسان ونشره"(١).

وقال الكفويّ: "أصل الشُّكر: تصوّر النّعمة وإظهارها، والشُّكر من العبد: عرفان الإحسان، ومن الله المجازاة والثّناء الجميل"(٢).

وقال المُناويّ: "الشُّكر: شكران: الأوّل شكر باللّسان وهو الثّناء على المنعم، والآخر: شكر بجميع الجوارح، وهو مكافأة النّعمة بقدر الاستحقاق، والشّكور الباذل وسعه في أداء الشّكر بقلبه ولسانه وجوارحه اعتقادا واعترافا"(٣).

وقال ابن القيّم: "الشُّكر ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده: ثناء واعترافا، وعلى قلبه شهودًا ومحبّة، وعلى جوارحه انقيادا وطاعة، وقيل: هو الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع"(٤).

منزلة الشكر:

لقد بلغ من عِظَم منزلة الشكر أن الله سبحانه وتعالى سَمَّى نَفْسَهُ شَاكِرًا وَشَكُورًا وَسَمَّى الشَّاكِرِينَ بِهَذَيْنِ الاِسْمَيْنِ. فَأَعْطَاهُمْ مِنْ وَصْفِهِ. وَسَمَّاهُمْ بِاسْمِهِ. وَحَسْبُكَ بِهَذَا مَحَبَّةً لِلشَّاكِرِينَ وَفَضْلاً(٥). كما أثنى سبحانه في كتابه على عباده الشاكرين، وممن أثنى عليهم ربنا تبارك وتعالى الأنبياء، فمثلاً أثنى على أول رسول بعثه بالشكر فقال: {ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا} [الإسراء: ٣]، كما أثنى على خليله إبراهيم

---

(١) لسان العرب (٤/ ٤٢٣)، لابن منظور.

(٢) انظر الكليات (ص: ٥٣٤)، للكفوي، ولسان العرب (٤/ ٤٢٣).

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف (ص: ٢٠٦)، للمناوي.

(٤) مدارج السالكين لابن القيم (٢/ ٢٣٤).

(٥) مدارج السالكين (٢/ ٢٣٣)

بشكره نعمه فقال: {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢٠) شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [النحل: ١٢٠، ١٢١]

ومن الأدلة على عِظَمِ مَنزلةِ الشُكر:

١-أنه أحدُ قواعد الدين:

قال ابن القيم: "مبْنى الدّين على قاعدتين الذّكر وَالشُّكْر، قَالَ تَعَالَى: {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ} [البقرة: ١٥٢]"(١).

٢-أن الله سبحانه قرنه بالإيمان:

قال تعالى: {مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا} [النساء: ١٤٧]

فقرن سبحانه الشكر بالإيمان وأخبر أنه لا غرض له في عذاب خلقه إن شكروا وآمنوا به(٢).

٣-أنه مطلبُ الربِّ من عَبدِه:

قال تعالى: {وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ} [البقرة: ١٧٢]

وقال: {وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ} [النحل: ١١٤]

قال السعدي: "قوله {إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ} أي: فاشكروه، فدل على أن من لم يشكر الله، لم يعبده وحده، كما أن من شكره، فقد عبده، وأتى بما أمر به"(٣).

٤-أن الله تعالى جعل الشكر هو الغاية من خلقه وأمره:

---

(١) الفوائد لابن القيم (ص: ١٢٨) مختصرًا.

(٢) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص: ١١٦)لابن القيم.

(٣) تفسير السعدي (ص: ٨١).

قال سبحانه: {وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } [النحل: ٧٨]. لما بين سبحانه لعباده عظيم منته ونعمته عليهم ختم الآية بقوله: {لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} أي: رجاء لحصول شكركم، وأن الله سبحانه إنما خلق هذه الآلات لكم لتقوموا بحق الله فيها من الشكر، وهذا كقوله سبحانه: {قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ}، وشكر الله على هذه النعم وغيرها من النعم إنما يكون باستعمالها في طاعته سبحانه، وما يقرب إلى مرضاته(١).

٥-أن الشاكرين قِلة في العالمين:

قال تعالى: {وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ} [سبأ: ١٣]

وفيه حث على الاهتمام بالعمل الصالح، وإذ كان العمل شكرًا أفاد أن العاملين قليل(٢).

والشُّكْرَ حَقِيقَتُهُ الِاعْتِرَافُ بِالنِّعْمَةِ لِلْمُنْعِمِ وَاسْتِعْمَالُهَا فِي طَاعَتِهِ، وَالْكُفْرَانُ اسْتِعْمَالُهَا فِي الْمَعْصِيَةِ. وَقَلِيلٌ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ، لِأَنَّ الْخَيْرَ أَقَلُّ مِنَ الشَّرِّ، وَالطَّاعَةُ أَقَلُّ مِنَ الْمَعْصِيَةِ(٣).

لذا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي حَتَّى تَرِمَ، أَوْ تَنْتَفِخَ قَدَمَاهُ، فَيُقَالُ لَهُ: قَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، فَيَقُولُ: ((أَفَلاَ أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا))(٤).

٦-الشكر يرضاه ربنا تبارك وتعالى:

قال سبحانه: {وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ} [الزمر: ٧]

---

(١) انظر التحرير والتنوير (١/ ٥٠١)، لابن عاشور، وأبحاث هيئة كبار العلماء (٥/ ٥).

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور(٢٢/ ١٦٣).

(٣) تفسير القرطبي (١٤/ ٢٧٦).

(٤) أخرجه البخاري(٦٤٧١)، من حديث المُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رضي الله عنه.

وإنما رَضِيَ لهم سبحانه الشكر لأنه سبب سعادتهم في الدنيا والآخرة كما قال سبحانه: {لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ} [إبراهيم: ٧]، فَالشُّكْرُ مَعَهُ الْمَزِيدُ أَبَدًا، فَمَتَى لَمْ تَرَ حَالَكَ فِي مَزِيدٍ. فَاسْتَقْبِلِ الشُّكْرَ[١]. ولله در القائل:

ومن كان ذا شُكرٍ فأهلُ زيادةٍ وأهلٌ لبذلِ العُرْفِ من كان ينعم[٢]

نِعَمٌ يَعْقِلُ عنها الكثير:

إنَّ الله تعالى قد أنعمَ على عباده بنعم لاتعد ولا تحصى كما قال: {وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ} [إبراهيم: ٣٤]، وطلب منهمُ الشُّكرَ، ورضي به منهم، **قَالَ سُلَيْمَانُ التَّيْمِيُّ:** " إِنَّ اللَّهَ أَنْعَمَ عَلَى الْعِبَادِ عَلَى قَدْرِهِ، وَكَلَّفَهُمُ الشُّكْرَ عَلَى قَدْرِهِمْ حَتَّى رَضِيَ مِنْهُمْ مِنَ الشُّكْرِ بِالِاعْتِرَافِ بِقُلُوبِهِمْ بِنِعَمِهِ، وَبِالْحَمْدِ بِأَلْسِنَتِهِمْ عَلَيْهَا".[٣]

وقال ابن كثير في تفسير هذه الآية: "يُعدِدُ تعالى نعمَه على خلقِه، بأن خلق لهم السماوات سقفا محفوظًا والأرض فراشًا، وأنزل من السماء ماء فأخرج به أزواجًا من نبات شتى، ما بين ثمار وزروع، مختلفة الألوان والأشكال، والطعوم والروائح والمنافع، وسخر الفلك بأن جعلها طافية على تيار ماء البحر، تجري عليه بأمر الله تعالى، وسخر البحر يحملها ليقطع المسافرون بها من إقليم إلى إقليم آخر، لجلب ما هنا إلى هناك، وما

---

(١) وانظر فتح القدير للشوكاني (٤/ ٥١٨)، مدارج السالكين لابن القيم (٢/ ٢٣٦)،

(٢) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص: ٢٦٤).

(٣) جامع العلوم والحكم (٢/ ٧٩)، لابن رجب.

هناك إلى هاهنا، وسخر الأنهار تشق الأرض من قطر إلى قطر، رزقا للعباد من شرب وسقي وغير ذلك من أنواع المنافع "[١].

ومعنى ((إن تعدوا)): أي: وإن تتعرضوا لتعداد نعم الله التي أنعم بها عليكم إجمالا فضلا عن التفصيل لا تطيقوا إحصاءها بوجه من الوجوه، ولا تقوموا بحصرها على حال من الأحوال وذلك مثل النعم المعتاد بها التي ينسى الناس أنها من النعم، كنعمة التنفس، ونعمة الحواس، ونعمة هضم الطعام.[٢]

وجَاءَ رَجُلٌ إِلَى يُونُسَ بْنِ عُبَيْدٍ فَشَكَى إِلَيْهِ ضِيقًا مِنْ حَالِهِ وَمَعَاشِهِ، وَاغْتِمَامًا مِنْهُ بِذَلِكَ، فَقَالَ لَهُ يُونُسُ: أَيَسُرُّكَ بِبَصَرِكَ هَذَا الَّذِي تُبْصِرُ بِهِ مِائَةُ أَلْفٍ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَسَمْعُكَ الَّذِي تَسْمَعُ بِهِ يَسُرُّكَ بِهِ مِائَةُ أَلْفٍ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَلِسَانُكَ الَّذِي تَنْطِقُ بِهِ مِائَةُ أَلْفٍ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَفُؤَادُكَ الَّذِي تَعْقِلُ بِهِ مِائَةُ أَلْفٍ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَيَدَاكَ يَسُرُّكَ بِهِمَا مِائَةُ أَلْفٍ؟

قَالَ: لَا؟ قَالَ: فَرِجْلاَكَ؟ قَالَ: فَذَكَّرَهُ نِعَمَ اللهِ عَلَيْهِ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ يُونُسُ، قَالَ: أَرَى لَكَ مِئِينَ أُلُوفًا، وَأَنْتَ تَشْكُو الْحَاجَةَ.[٣]

وعَنِ ابْنِ السَّمَّاكِ: أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى هَارُونَ الرَّشِيدِ، فَقَالَ لَهُ: عِظْنِي. فَقَالَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! لَوْ مُنِعَ عَنْكَ الْمَاءُ سَاعَةً وَاحِدَةً كُنْتَ تفتديها بِالدُّنْيَا وَمَا فِيهَا؟ فَقَالَ: نَعَمْ. فَقَالَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! لَوْ مُنِعَ عَنْكَ الْبَوْلُ سَاعَةً وَاحِدَةً كنت تفتديها بِالدُّنْيَا وَمَا فِيهَا؟ فَقَالَ: نَعَمْ. فَقَالَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! فَمَا تَصْنَعُ بِدُنْيَا لَا تَشْتَرِي بَوْلَةً وَلَا شَرْبَةَ مَاءٍ؟ [٤].

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٥١١).

(٢) انظر فتح القدير للشوكاني (٣/ ١٣٢)، التحرير والتنوير(١٣/٢٣٦)، لابن عاشور.

(٣) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٣/ ٢٢)، لابي نعيم.

(٤) المجالسة وجواهر العلم (٣/ ١٤٥)لأبي بكر الدينوري.

فنعم الله على عباده كثيرة قَلَّ أن تعد أو تحصى، وقَلَّ من يشكرها كما قال سبحانه: {وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ } [سبأ: ١٣]

وقال: {وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ } [الأعراف: ١٠]

وقال جلَّ شأنه: {قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ} [الملك: ٢٣]

فليحذرِ الغافلون عن شكر نعم الله من سؤاله يوم القيامة، ففي الحديث: ((أنَّ اللهَ عزَّ وَجَلَّ يَلْقَى الْعَبْدَ يوم القيامة، فَيَقُولُ: أَيْ فُلْ[1] أَلَمْ أُكْرِمْكَ، وَأُسَوِّدْكَ، وَأُزَوِّجْكَ، وَأُسَخِّرْ لَكَ الْخَيْلَ وَالإِبِلَ، وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، قَالَ: فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلاَقِيَّ؟ فَيَقُولُ: لاَ، فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي، ثُمَّ يَلْقَى الثَّانِيَ فَيَقُولُ: أَيْ فُلْ أَلَمْ أُكْرِمْكَ، وَأُسَوِّدْكَ، وَأُزَوِّجْكَ، وَأُسَخِّرْ لَكَ الْخَيْلَ وَالإِبِلَ، وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ، وَتَرْبَعُ، فَيَقُولُ: بَلَى، أَيْ رَبِّ فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلاَقِيَّ؟ فَيَقُولُ: لاَ، فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي، ثُمَّ يَلْقَى الثَّالِثَ، فَيَقُولُ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ آمَنْتُ بِكَ، وَبِكِتَابِكَ، وَبِرُسُلِكَ، وَصَلَّيْتُ، وَصُمْتُ، وَتَصَدَّقْتُ، وَيُثْنِي بِخَيْرٍ مَا اسْتَطَاعَ، فَيَقُولُ: هَاهُنَا إِذًا)).[2]

وفي رواية أخري: يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: " يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَا ابْنَ آدَمَ حَمَلْتُكَ عَلَى الْخَيْلِ وَالْإِبِلِ، وَزَوَّجْتُكَ النِّسَاءَ، وَجَعَلْتُكَ تَرْبَعُ، وَتَرْأَسُ، **فَأَيْنَ شُكْرُ ذَلِكَ؟** .[3]

---

(١) يعني: يا فلان. انظر الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٥/ ١٧٩٣) للجوهري، في مادة(فلل).

(٢) أخرجه مسلم(٢٩٨٦)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أحمد(١٠٣٧٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بإسناد صحيح على شرط مسلم.

فمن عجز عن شكر نعم الله فعليه أن يسارع بالتوبة إلي الله تعالى، كما **قال طَلْقُ بْنِ حَبِيبٍ:** "إِنَّ حُقُوقَ اللهِ أَثْقَلُ مِنْ أَنْ يَقُومَ بِهَا الْعِبَادُ، وَإِنَّ نِعَمَ اللهِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُحْصِيَهَا الْعِبَادُ، وَلَكِنْ أَصْبِحُوا تَوَّابِينَ وَأَمْسُوا تَوَّابِينَ"(١).

الأسباب المعينة على الشكر:

وَالشُّكْرُ مَبْنِيٌّ عَلَى خَمْسِ قَوَاعِدَ: خُضُوعُ الشَّاكِرِ لِلْمَشْكُورِ. وَحُبُّهُ لَهُ. وَاعْتِرَافُهُ بِنِعْمَتِهِ. وَثَنَاؤُهُ عَلَيْهِ بِهَا. وَأَنْ لَا يَسْتَعْمِلَهَا فِيمَا يَكْرَهُ. فَهَذِهِ الْخَمْسُ: هِيَ أَسَاسُ الشُّكْرِ. وَبِنَاؤُهُ عَلَيْهَا. فَمَتَى عُدِمَ مِنْهَا وَاحِدَةً: اخْتَلَّ مِنْ قَوَاعِدِ الشُّكْرِ قَاعِدَةٌ(٢).

ومن الأسباب التي تعين على شكر النعم:

- الاعترافُ بنعم الله وذِكرُها وأنها من فضل الله ومنِّه وكرمه. قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: "تَذَاكَرُوا النِّعَمَ؛ فَإِنَّ مَنْ ذَكَرَهَا شَكَرَهَا"(٣).
- الإكثار من العبادات والعمل الصالح، شكرًا وحمدًا لله على ما أنعم.
- كثرة الدعاء وطلب العون من الله على شكره وحسن عبادته.
- أن يتفكر العبد في عِظَمِ سؤال الله عن هذه النعم يوم القيامة كما قال عز وجل: {ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ} [التكاثر: ٨] قال ابن عباس رضي الله عنه: "النعيم: صحة الأبدان والأسماع والأبصار، وقال: يسأل الله العباد فيم استعملوها"(٤).
- الإقلاع عن الذنوب والمعاصي فإنها تزيل النعم وتنزل النقم.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف(٣٦٣٠٦).

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٢٣٤)، لابن القيم.

(٣) المجالسة وجواهر العلم(٢٣٦٣) لأبي بكر الدينوري.

(٤) تفسير الطبري (٢٤/ ٥٨٢).

- النظر إلى من هو أقل منه في شئون الدنيا فإنه معين على استذكار النعم كما قال النبيﷺ: ((انْظُرُوا إِلَى مَنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ))(١).

ثمرات الشكر:

إن فضيلة الشكر من أعظم النعم، ولا يمكن أن يحافظ على هذه النعمة إلا مُعانٌ من قِبَلِ الرحمن، ولذا كانت وصيةُ النبيِّﷺ لمعاذٍ رضي الله عنه بقوله: "أُوصيكَ يا معاذ لا تَدَعنَّ في دُبُر كُل صلاةٍ أن تقول: اللهُمَّ أعني على ذِكْرِكَ وشُكْرِكَ وحُسْنِ عِبادَتك"(٢). وكان من دعاء النبيﷺ: ((رَبِّ أَعِنِّي وَلَا تُعِنْ عَلَيَّ، وَانْصُرْنِي وَلَا تَنْصُرْ عَلَيَّ، وَامْكُرْ لِي وَلَا تَمْكُرْ عَلَيَّ، وَاهْدِنِي وَيَسِّرِ الْهُدَى لِي، وَانْصُرْنِي عَلَى مَنْ بَغَى عَلَيَّ، رَبِّ اجْعَلْنِي لَكَ شَكَّارًا، لَكَ ذَكَّارًا، لَكَ رَهَّابًا، لَكَ مِطْوَاعًا، لَكَ مُخْبِتًا، إِلَيْكَ أَوَّاهًا مُنِيبًا. . . الحديث)).(٣)

ومن فوائد وثمرات الشكر التي تعود على العبد:

١-الشكر أمان من عذاب الله:

قال سبحانه: {مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا } [النساء: ١٤٧]

٢-الشكر سبب لزيادة النعم وحِفظِهَا:

قال تعالى: { لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ} [إبراهيم: ٧].

---

(١) أخرجه مسلم(٩) من حديث أبي هريرةرضي الله عنه.

(٢) أخرجه أبو داوود(١٥٢٢)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود(١٣٦٢).

(٣) أخرجه الترمذي(٣٥٥١)، من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٨/ ٥١).

الجزاء عن شكر النعمة بالزيادة منها نعمة وفضل من الله، قَالَ عُمَارَةُ بْنُ حَمْزَةَ: " إِذَا وَصَلَتْ إِلَيْكُمْ أَطْرَافُ النِّعَمِ فَلاَ تُنَفِّرُوا أَقْصَاهَا بِقِلَّةِ الشُّكْرِ "(١).

وعَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه، أَنَّهُ قَالَ لِرَجُلٍ مِنْ هَمْدَانَ: " إِنَّ النِّعْمَةَ مَوْصُولَةٌ بِالشُّكْرِ، وَالشُّكْرُ مُتَعَلِّقٌ بِالْمَزِيدِ، وَهُمَا مَقْرُونَانِ فِي قَرْنٍ، وَلَنْ يَنْقَطِعَ الْمَزِيدُ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى يَنْقَطِعَ الشُّكْرُ مِنَ الْعَبْدِ ".(٢)

٣-الشكر موصلٌ لمرضاة الربِّ ومحبته:

قال جلَّ شأنه: {وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ} [الزمر: ٧]

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا))(٣).

٤-الشكر سببٌ في نيلِ الأجرَ الجزيل:

قال تعالى: {وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ } [آل عمران: ١٤٤]

وإظهارُ الاسمِ الجليلِ-لفظ الجلالة- في موقع الإضمار لإبراز مزيدِ الاعتناءِ بشأن جزائِهم(٤).

وقال السعدي: "لم يذكر جزاءهم ليدل ذلك على كثرته وعظمته، وليعلم أن الجزاء على قدر الشكر، قلَّة وكثرَة وحُسنًا"(٥).

---

(١) انظر التحرير والتنوير (١٣/ ١٩٣) لابن عاشور، والأثر أخرجه البيهقي في شعب الإيمان(٤٢٣٩).
(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٤٢١٤).
(٣) أخرجه مسلم(٨٩).
(٤) تفسير أبي السعود (٢/ ٩٤).
(٥) تفسير السعدي (ص: ١٥١).

٥-الشكر ينجي العبد من المهالك:

قال سبحانه مخبرًا عن قوم لوط: { إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ (٣٤) نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ (٣٥) }[القمر: ٣٤ - ٣٦]

قال الطبري: "قوله تعالى: (كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ) يقول: وكما أثبنا لوطًا وآله، وأنعمنا عليه، فأنجيناهم من عذابنا بطاعتهم إيانا كذلك نثيب من شكرنا على نعمتنا عليه، فأطاعنا وانتهى إلى أمرنا ونهينا من جميع خلقنا"(١).

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٩٦).

تأملات في آيات
مع بعض آيات سورة ق

عَنْ أُمِّ هِشَامٍ بِنْتِ حَارِثَةَ بْنِ النُّعْمَانِ رضي الله عنها، قَالَتْ: مَا أَخَذْتُ (ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ) إِلَّا عَنْ لِسَانِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، يَقْرَؤُهَا كُلَّ يَوْمِ جُمُعَةٍ عَلَى الْمِنْبَرِ، إِذَا خَطَبَ النَّاسَ. (١)

لم يكن النبي ﷺ ليقرأ هذه السورة كل جمعة على المنبر لولا أنها سورة عظيمة في حقائقها، ظاهرة في حجمها، تأخذ بمجامع النفوس، وتقرع القلوب المؤمنة بالله فتبرهن على عقيدة البعث والنشور، من المولد والوفاة، والمحشر والحساب، والثواب والعقاب، بإيضاح عجيب، وبسط دقيق.

قال ابن كثير رحمه الله: لقد كان ﷺ يقرأ بهذه السورة في المجامع الكبار، كالعيد والجمع، لاشتمالها على ابتداء الخلق والبعث والنشور، والمعاد والقيام، والحساب، والجنة والنار، والثواب والعقاب، والترغيب والترهيب. (٢) وهذه بعض الوقفات الإيمانية من خلال تدبر هذه الآيات التي تحرك القلوب وتأخذ بالألباب وتهز المشاعر وتجري دمع العين.

قال تعالى {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ } [ق: ١٦] **(حَبْلِ الْوَرِيدِ)** هُوَ حَبْلُ الْعَاتِقِ وَهُوَ مُمْتَدٌّ مِنْ نَاحِيَةِ حَلْقِهِ إِلَى عَاتِقِهِ، وَهُمَا وَرِيدَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ. (٣)

---

(١) رواه مسلم (٨٧٣)

(٢) تفسير ابن كثير (٧/ ٣٩٣)

(٣) تفسير القرطبي (١٧/ ٩)

يخبر الله تعالى، أنه المتفرد بخلق جنس الإنسان، ذكورهم وإناثهم، وأنه يعلم أحواله، وما يسره، ويوسوس في صدره وأنه أقرب إليه من حبل الوريد، الذي هو أقرب شيء إلى الإنسان، وهو العرق المكتنف لثغرة النحر، وهذا مما يدعو الإنسان إلى مراقبة خالقه المطلع على ضميره وباطنه، القريب منه في جميع أحواله، فيستحي منه أن يراه، حيث نهاه، أو يفقده، حيث أمره. (١)

- في الآية تنبيه وتحذير بالأدنى على الأعلى، فإذا كان الله يعلم ما في ضمير الإنسان وما يدور في نفسه فمن باب أولى يعلم ويرى أعماله الظاهرة فليحذر الإنسان ولينتبه!

يقول حاتم الأصم رحمه الله: تَعَهَّدْ نَفْسَكَ فِي ثَلاَثَةِ مَوَاضِعَ: إِذَا عَمِلْتَ فَاذْكُرْ نَظَرَ اللَّهِ إِلَيْكَ، وَإِذَا تَكَلَّمْتَ فَاذْكُرْ سَمْعَ اللَّهِ إِلَيْكَ، وَإِذَا سَكَتَّ فَاذْكُرْ عِلْمَ اللَّهَ فِيكَ. (٢)

وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ لِابْنِهِ: إِذَا دَعَتْكَ نَفْسُكَ إِلَى كَبِيرَةٍ، فَارْمِ بِبَصَرِكَ إِلَى السَّمَاءِ، وَاسْتَحِ مِمَّنْ فِيهَا، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَارْمِ بِبَصَرِكَ إِلَى الْأَرْضِ وَاسْتَحِ مِمَّنْ فِيهَا، فَإِنْ كُنْتَ لَا مِمَّنْ فِي السَّمَاءِ تَخَافُ، وَلَا مِمَّنْ فِي الْأَرْضِ تَسْتَحِي، فَاعْدُدْ نَفْسَكَ فِي عِدَادِ الْبَهَائِمِ.

قَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ رحمه الله: تُغْلِقُ بَابَكَ، وَتُرْخِي سِتْرَكَ، وَتَسْتَحِي مِنَ النَّاسِ، وَلَا تَسْتَحِي مِنَ الْقُرْآنِ الَّذِي فِي صَدْرِكَ، وَلَا تَسْتَحِي مِنَ الْجَلِيلِ الَّذِي لَا يَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ. (٣)

وَإِذَا خَلَوْتَ بِرِيبَةٍ فِي ظُلْمَةٍ. . . والنَّفْسُ داعِيَةٌ إلى الطُّغيان

فاستحي مِن نَظَر الإله وقُلْ لَهَا. . . إنَّ الَّذي خَلَقَ الظَّلامَ يَرَانِي (٤)

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٨٠٥)

(٢) سير السلف الصالحين لإسماعيل بن محمد الأصبهاني (ص: ١١٠٢)

(٣) تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي (ص: ٤٧٨)

(٤) مجموعة القصائد الزهديات (١/ ١٦٠)

والآيات المبينة لهذا المعنى في القرآن كثيرة جداً منها قوله تعالى: {وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} [يونس: ٦١]

وقال تعالى {وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ} [البقرة: **٢٣٥**]

وقال تعالى {وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا } [الأحزاب: **٥١**]

فإذا اطَّلع اللهُ على قلب الإنسان فرأى خيراً فحالُه ومآله إلى خير {إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا} [الأنفال: ٧٠]

وقال تعالى عن أهل بيعة الرضوان: { لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا } [الفتح: ١٨]

وقال ﷺ فيمن شهد بدراً ((لَعَلَّ اللَّهَ اطَّلَعَ إِلَى أَهْلِ بَدْرٍ؟ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، فَقَدْ وَجَبَتْ لَكُمُ الجَنَّةُ، أَوْ: فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ)). [1] **أما أصحاب القلوب المريضة** فقد قال الله فيهم: { فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ} [البقرة: ١٠]

ومع سعة علم الله تعالى وإحاطته بخلقه إلا أنه سبحانه وكَّل بكل إنسان منهم ملكان يحصيان عليه أعماله **قال تعالى { إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ (١٧) مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (١٨)} [ق: ١٧ – ١٨]**

---

(١) رواه البخاري (٣٠٠٧) ومسلم (٢٤٩٤) من حديث على بن أبي طالب رضي الله عنه.

(الْمُتَلَقِّيانِ) قَالَ الْحَسَنُ وَمُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ: مَلَكَانِ يَتَلَقَّيَانِ عَمَلَكَ: أَحَدُهُمَا عَنْ يَمِينِكَ يَكْتُبُ حَسَنَاتِكَ، وَالْآخَرُ عَنْ شِمَالِكَ يَكْتُبُ سَيِّئَاتِكَ. (١)

قال سبحانه: { وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ } [الانفطار: ١٠ - ١٢]

وقال {أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ} [الزخرف: ٨٠] أي: ملائكتنا عندهم يكتبون.

وقال تعالى { وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٨) هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } [الجاثية: ٢٨، ٢٩]

وكأن الحكمة من أمره سبحانه وتعالى للحفظة بكتابة الأعمال حكم آخر كإقامة الحجة على العبد يوم القيامة كما وضحه الله تعالى: {وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا (١٣) اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا } [الإسراء: ١٣، ١٤]

- وفي الآيتين تنبيه وتحذير من خطر اللسان، فما من لفظةٍ يتلفظ بها الإنسان إلا وهي مسطورة محفوظة، فكم من كلمة رفعت قائلها درجات وكم من كلمة أوبقت في المهلكات والدركات، **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ** ﷺ قَالَ: ((إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ)). (٢)

---

(١) تفسير القرطبي (١٧/ ٩)

(٢) رواه البخاري (٦٤٧٨)

ثم انتقل سياق الآيات ليُذكِّر بالحقائق والأهوال التي يغفل عنها الكثير من الناس وهم ملاقوها لا محالة، كان الحَسَن بْن صَالِحٍ رَحِمَهُ اللَّهُ، إذا صلى الْفَجْر جلس يتذكر الموت وأهوال الآخرة ثم يقول: وَا أَهْوَالَاهُ فَلَوْ كَانَ هَوْلًا وَاحِدًا لَكَفَى، وَلَكِنَّهَا أَهْوَالٌ شَتَّى، ثُمَّ يبكي. (١) **قال تعالى: {وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ (١٩) وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ (٢٠) وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ (٢١) لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ (٢٢)} [ق: ١٩ - ٢٢]**

قال الله تعالى: (وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ). لماذا عبَّر عن مجيئ سكرة الموت بالفعل الماضي والكلام موجه للأحياء وليس للأموات؟ لأن كل إنسان سيموت حتما، فقضية الموت حتمية لا مفر منها، ولأن الموت قريب جدا من كل إنسان، وأنه يأتي بغته بدون إنذار، **وأجمعت الأمة** على أن الموت ليس له سن معلوم ولا أجل معلوم ولا مرض معلوم وذلك ليكون المرء على أهبة من ذلك مستعدا لذلك. (٢)

(وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ) أَيْ جاء الموت بغَمْرَته وَشِدَّته التي تُخمد الأجساد وتُسيطر على الألباب، **قال الغزالي** رَحِمَهُ اللَّهُ: اعْلَمْ أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ يَدَيِ الْعَبْدِ الْمِسْكِينِ كَرْبٌ وَلَا هَوْلٌ وَلَا عَذَابٌ سِوَى سَكَرَاتِ الْمَوْتِ بِمُجَرَّدِهَا لَكَانَ جَدِيرًا بِأَنْ يَتَنَغَّصَ عَلَيْهِ عَيْشُهُ وَيَتَكَدَّرَ عَلَيْهِ سُرُورُهُ وَيُفَارِقَهُ سَهْوُهُ وَغَفْلَتُهُ. (٣)

أين المفر من الموت؟ وكيف يكون حالك؟ وسكرة الموت، لم يسلم منها أحب الخلق إلى الله محمد ﷺ، **فعن عَائِشَةَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ - أَوْ

---

(١) الرقة والبكاء لابن أبي الدنيا (ص: ٢٠٧)

(٢) تفسير القرطبي (١٣/ ٣٤٨) و روح البيان (٢/ ٢٤١)

(٣) إحياء علوم الدين (٤/ ٤٦١)

عُلْبَةٌ فِيهَا مَاءٌ فَجَعَلَ يُدْخِلُ يَدَيْهِ فِي المَاءِ، فَيَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ، وَيَقُولُ: ((لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ)). (١)

وعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: لَمَّا ثَقُلَ النَّبِيُّ ﷺ جَعَلَ يَتَغَشَّاهُ الكرب، فَقَالَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلاَمُ: وَا كَرْبَ أَبَتاهُ، فَقَالَ لَهَا: ((لَيْسَ عَلَى أَبِيكِ كَرْبٌ بَعْدَ اليَوْمِ)). (٢)

وأما قوله { ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ }. أَيْ يُقَالُ لِمَنْ جَاءَتْهُ سَكْرَةُ الْمَوْتِ ذَلِكَ مَا كُنْتَ تَفِرُّ مِنْهُ وَتَمِيلُ عَنْهُ، والموت هو أشد ما يحاول الإنسان أن يهرب منه، أو يروغ عنه، وأنى له ذلك! فإذا جاء الأجل فلا مفر: { فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ} [النحل: ٦١]

تفرُّ من الموت فإذا هو أمامك، قال تعالى: {قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاَقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } [الجمعة: ٨]

وإلى سكَّان القصور قال تعالى {أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ} [النساء: ٧٨]

وبعد ذكر الموت وسكراته ينتقل السياق إلى ما هو أشد منه وأفظع، إنه مشهد البعث، وهول المحشر، ورهبة الحساب، { وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ (٢٠) }. والمعنى: هَذَا الْيَوْمُ هُوَ يَوْمُ الْوَعِيدِ الَّذِي وَعَدَهُ اللَّهُ الْكُفَّارَ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ فِيهِ.

إنها نفخة البعث والنشور قال تعالى: { وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ (٥١) قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ

---

(١) رواه البخاري (٦٥١٠)

(٢) رواه البخاري (٤٤٦٢)

الْمُرْسَلُونَ (٥٢) إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ (٥٣) فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [يس: ٥١ - ٥٤]

إنه تصوير حي، وشاهد قائم لمشهد ينبغي للإنسان أن يستعد له ويعمل له ألف حساب، وانظر إلى حال النبي ﷺ وشدة إشفاقه من النفخ في الصور، **فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ** رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ القَرْنِ قَدِ التَقَمَ القَرْنَ وحَنَا الجَبْهَةَ وأَصْغَى السَّمْعَ مَتَى يُؤْمَرُ بِالنَّفْخِ فَيَنْفُخُ)) فَكَأَنَّ ذَلِكَ ثَقُلَ عَلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، قالوا: كيف نصنع؟ فَقَالَ لَهُمْ: ((قُولُوا: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا)). (١)

قال الحارث المحاسبي رحمه الله: فيا هَولَ ذلك اليوم، فما ظنُّك بيومٍ يُنادي فيه المصطفى آدمُ، والخليلُ إبراهيمُ، والكليمُ موسى، والروحُ والكلمةُ عيسى معَ كرامَتِهم على اللهِ عزَّ وجلَّ، وعِظَمِ قدْرِ منازِلهم عندَ الله عزَّ وجلَّ، كُلٌّ يُنادِي: (نفسي نفسي)، شَفَقاً مِنْ شِدةِ غضبِ رَبِّه، فأينَ أنتَ منهم في إشفاقِك في ذلك اليومِ واشتغالِك بِحزنِك وبخوفِك؟. (٢)

{ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ (٢١) لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ }.

قال ابن القيم رحمه الله: يخبر الله سبحانه عن أَحْوَال الْخلق فِي هَذَا الْيَوْم وَأَن كل أحد يَأْتِي الله سُبْحَانَهُ ذَلِك الْيَوْم وَمَعَهُ سائق يَسُوقهُ وشهيد يشْهد عَلَيْهِ. (٣)

---

(١) رواه أحمد والترمذي (٢٤٣١) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ٨٤٢)

(٢) التوهم في وصف أحوال الآخرة (ص: ١٦)

(٣) الفوائد لابن القيم (ص: ١٠)

قال الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ: تَوَهَّمْ نَفْسَكَ إذا قرَعَ سمْعَك النداءُ إلى العرضِ، فيكفيك تلك الروعة، إذ يُؤخذ بناصيَتِك فتُقادُ وفؤادُك مضطربٌ ولُبُّكَ طائرٌ وفرائِصُك مرتعدةٌ ولَونُك متغيرٌ، والعالَمَ عليك من شدةِ الهولِ مُظلمٌ؛ فَقَدِّرْ نفسَك وأنتَ بهذه الصفةِ تتخطَى الرِّقابَ وتَخترقُ الصفوف، وقد رَفَعَ الخلائقُ إليك أبصارَهم، فتوهَّمْ نفسَك أنك في أيدي الموكَلَينِ بك على هذه الصفة حتى انتُهِيَ بك إلى عرش الرحمن فرمَوكَ مِن أيديهم وناداك اللهُ سبحانه وتعالى بعظيم كلامه: يا ابن آدم ادن منى فدنوت منه بقلب خافق محزون وجل وطرف خاشع ذليل وفؤاد منكسر وَأُعْطِيتَ كِتَابَكَ الَّذِي لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا فَكَمْ مِنْ فَاحِشَةٍ نَسِيتَهَا فتذكرتَها، وَكَمْ مِنْ طَاعَةٍ غَفَلْتَ عَنْ آفَاتِهَا فَانْكَشَفَ لك عن مساويها، فَلَيْتَ شِعْرِي بِأَيِّ قَدَمٍ تَقِفُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَبِأَيِّ لِسَانٍ تُجِيبُ وَبِأَيِّ قَلْبٍ تَعْقِلُ مَا تقول. (١)

{ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ }

كنت في الدنيا غافلاً عن القيامة والوقوف بين يدي الله، فكشفنا عنك اليوم حجاب الغفلة، فبصرك اليوم قوي نافذ، فأبصرت الحق وأيقنت، ولكن هيهات هيهات فات الأوان، **قَالَ تَعَالَى**: {وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ} [السجدة: ١٢]

{وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ (٢٣) أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ (٢٤) مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ (٢٥) الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ (٢٦)} [ق: ٢٣ – ٢٦]

فالمقصود بالقرين هنا الْمَلَك الْمُوَكَّل بِعَمَلِ ابْنِ آدَمَ: أَنَّهُ يَشْهَدُ عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِمَا فَعَلَ

(١) إحياء علوم الدين (٤/ ٥١٩)

يَقُول لمّا يحضرهُ هَذَا الَّذِي كنتَ وكّلتني بِهِ فِي الدُّنْيَا قد أحضرته وَأَتَيْتُك بِهِ هَذَا قَول مُجَاهِد. وَقَالَ ابْن قُتَيْبَة: الْمَعْنى هَذَا مَا كتبته عَلَيْهِ وأحصيته من قَوْله وَعَمله حَاضر عِنْدِي. وَالتَّحْقِيق أَن الْآيَة نتضمن الْأَمريْنِ أَي هَذَا الشَّخْص الَّذِي وكلت بِهِ وَهَذَا عمله الَّذِي أحصيته. (١)

ثم ذكر الله سبحانه صِفَات هَذَا الْمُلقى فِي النار فَذكر لَهُ سِتّ صِفَات:

أَحدهَا: أَنه كفار لنعم الله وحقوقه كفار بِدِينِهِ وتوحيده وأسمائه وَصِفَاته كفّار برسله وَمَلاَئِكَته كفار بكتبه ولقائه.

الثَّانِيَة: أَنه معاند للحق بِدَفْعِهِ جحدا وعنادا. **الثَّالِثَة:** أَنه مناع للخير وَهَذَا يعم مَنعه للخير الَّذِي هُوَ إِحْسَان إِلَى نَفسه من الطَّاعَات والقرب إِلَى الله وَالْخَيْر الَّذِي هُوَ إِحْسَان إِلَى النَّاس فَلَيْسَ فِيهِ خير لنَفسِهِ وَلَا لبني جنسه كَمَا هُوَ الْحَال أَكثر الْخلق.

الرَّابِعَة: أَنه مَعَ مَنعه للخير مُعْتَد على النَّاس ظلوم غشوم مُعْتَد عَلَيْهِم بِيَدِهِ وَلسَانه.

الْخَامِسَة: أَنه مريب أَي صَاحب ريب وَشك وَمَعَ هَذَا فَهُوَ آتٍ لكل رِيبَة يُقَال فلاَن مريب إِذا كَانَ صَاحب رِيبَة.

السَّادِسَة: أَنه مَعَ ذَلِك مُشْرك بِاللَّه قد اتّخذ مَعَ الله إِلَهًا آخر يعبده وَيُحِبهُ ويغضب لَهُ ويرضى لَهُ وَيحلف باسمه وينذر لَهُ ويوالي فِيهِ ويعادي فِيهِ. (٢)

---

(١) الفوائد لابن القيم (ص: ١٠)

(٢) الفوائد لابن القيم (ص: ١١)

{ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلالٍ بَعِيدٍ (٢٧) قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ (٢٨) مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (٢٩) يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ (٣٠)} [ق: ٢٧ - ٣٠]

عند ذلك يقول القرين: {رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ } وهو هنا على الأرجح الشيطان الموكل بملازمة الإنسان وإغوائه، يقول: ما كان لي عليه سلطان، بل هو الذي ضل وطغى بنفسه.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ، إِلَّا وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجِنِّ)). قَالُوا: وَإِيَّاكَ؟ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: ((وَإِيَّايَ، إِلَّا أَنَّ اللهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ، فَلاَ يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ)). (١)

وعن عُرْوَةَ بن الزبير، أَنَّ عَائِشَةَ رضي الله عنها، حَدَّثَتْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا لَيْلاً، قَالَتْ: فَغِرْتُ عَلَيْهِ، فَجَاءَ فَرَأَى مَا أَصْنَعُ، فَقَالَ: ((مَا لَكِ؟ يَا عَائِشَةُ أَغِرْتِ؟)). فَقُلْتُ: وَمَا لِي لَا يَغَارُ مِثْلِي عَلَى مِثْلِكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((أَقَدْ جَاءَكِ شَيْطَانُكِ)) قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ أَوْ مَعِيَ شَيْطَانٌ؟ قَالَ: ((نَعَمْ)) قُلْتُ: وَمَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ؟ قَالَ: ((نَعَمْ)) قُلْتُ: وَمَعَكَ؟ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: ((نَعَمْ، وَلَكِنْ رَبِّي أَعَانَنِي عَلَيْهِ حَتَّى أَسْلَمَ)). (٢)

وقد نقل الله في كتابه براءة الشيطان من اتباعه يوم القيامة فقال تعالى {وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [إِبْرَاهِيمَ: ٢٢].

---

(١) رواه مسلم (٢٨١٤)

(٢) رواه مسلم (٢٨١٥)

فيقول الله قوله الحق الذي يُنهي كل قول: { قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ (٢٨) مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ }.

فالمقام ليس مقام اختصام فقَدْ أَعْذَرْتُ إِلَيْكُمْ عَلَى أَلْسِنَةِ الرُّسُلِ، وَأَنْزَلْتُ الْكُتُبَ، وَقَامَتْ عَلَيْكُمُ الْحُجَجُ وَالْبَيِّنَاتُ وَالْبَرَاهِينُ، فمَا قلته ووعدت بِهِ لَابُد من فعله وَمَعَ هَذَا فَهُوَ عدل لَا ظلم فِيهِ وَلَا جور لكَمَال علمه سبحانه واطلاعه على أحوال خلقه وَكَمَال عدله.

ثم ينتهي المشهد بوصف رهيب لجهنم وهي تحترق وتفور، وتضطرب وتمور، { يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ }

إنها جهنم. . حرها شديد. . وقعرها بعيد. . يلقى فيها كل جبار عنيد. . وهي تنادي هل من مزيد، هل من مزيد. . المزيد من الكفرة والمنافقين. . المزيد من العصاة والمجرمين. .

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ((لاَ تَزَالُ جَهَنَّمُ يُلقى فيها وتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ، حَتَّى يَضَعَ رَبُّ العِزَّةِ فِيهَا قَدَمَهُ، فَتَقُولُ: قَطْ قَطْ وَعِزَّتِكَ، وَيُزْوَى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ)). (١)

ثم ينتقل سياق الآيات مباشرة من مشهد العذاب والجحيم إلى مشهد السرور والنعيم.

{وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ (٣١) هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ (٣٢) مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ (٣٣) }

فالجنة تزلف وتقرّب لهم غير بعيد، فلا يتكلفون مشقة الوصول إليها، فالجزاء من جنس العمل، فكما أنهم كانوا يتكلفون مشقة السعي إليها في الدنيا فهي الآن تُقرَّب إليهم.

---

(١) رواه البخاري (٦٦٦١) ومسلم (٢٨٤٨)

وأَهلها هم الَّذين اتصفوا بِهَذِهِ الصِّفَات الْأَرْبَع: إِحْدَاهَا: أَن يكون أوابا أَي رجَّاعاً إِلَى الله من مَعْصِيَته إِلَى طَاعَته وَمن الْغَفْلَة عَنهُ إِلَى ذكره.

الثَّانِيَة: أَن يكون حفيظا لما ائتمنه الله عَلَيْهِ وافترضه، حَافظا لما استودعه الله من حقّه وَنعمته، ممسكا نَفسه عَمَّا حرّم عَلَيْهِ.

الثَّالِثَة: قَوْله {مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَن بِالْغَيْبِ} يتَضَمَّن الْإِقْرَار بِوُجُودِهِ وربوبيته وَقدرته وَعلمه واطلاعه على تفاصيل أَحْوَال العَبْد ويتضمن الْإِقْرَار بكتبه وَرُسُله وَأمره وَنَهْيه ويتضمن الْإِقْرَار بوعده ووعيده ولقائه فَلَا تصح خشيَة الرَّحْمَن بِالْغَيْبِ إِلَّا بعد هَذَا كُله.

الرَّابِعَة: قَوْله {وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ} **قَالَ ابْن عَبَّاس:** رَاجع عَن معاصي الله مقبل على طَاعَة الله وَحَقِيقَة الْإِنَابَة عكوف الْقلب على طَاعَة الله ومحبته والإقبال عَلَيْهِ. (١)

وأما قوله: { ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ (٣٤)}

قَالَ قَتَادَةُ: سَلِمُوا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، وَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ مَلَائِكَةُ اللَّهِ.

فالجنة دار السلام: { لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } [الأنعام: ١٢٧]

وأهلها إذا دخلوها دخلوها بسلام: { إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٤٥) ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ (٤٦) وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ (٤٧) لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ } [الحجر: ٤٥ - ٤٨]

ويسمعون فيها السلام والتسليم { وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ} [الرعد: ٢٣، ٢٤]

---

(١) الفوائد لابن القيم (ص: ١٢)

وَأما قَوْلُهُ: {ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ} أَيْ: يَخْلُدُونَ فِي الْجَنَّةِ فَلاَ يَمُوتُونَ أَبَدًا، وَلَا يَظْعَنُونَ أَبَدًا، وَلَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا. (١)

وإليك بعض الأحاديث التي تدل على خلود أهل الجنة في النعيم المقيم، **عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ** رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((يُجَاءُ بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، كَأَنَّهُ كَبْشٌ أَمْلَحُ فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ فَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا المَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، ثُمَّ يُنَادِي: يَا أَهْلَ النَّارِ، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: وهَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا المَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، فَيُذْبَحُ ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ خُلُودٌ فَلاَ مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلاَ مَوْتَ)). (٢)

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ((يُنَادِي مُنَادٍ (أي أهلَ الجنة): إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلاَ تَسْقَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا فَلاَ تَمُوتُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشِبُّوا فَلاَ تَهْرَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلاَ تَبْأَسُوا أَبَدًا)). (٣)

وأما قوله { لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ (٣٥) }

فلأهل الجنة ما يشاءون في الجنة من النعيم بل وفوق ما يشاءون قال تعالى {وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [الزخرف: ٧١]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((قَالَ اللَّهُ: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ { فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ })). (١)

---

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ٤٠٦)

(٢) رواه البخاري (٤٧٣٠) ومسلم (٢٨٤٩)

(٣) رواه مسلم (٢٨٣٧)

وعَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رضي الله عنه، عن رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: ((سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ، مَا أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً، قَالَ: هُوَ رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَ مَا أُدْخِلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، فَيُقَالُ لَهُ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، كَيْفَ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ، وَأَخَذُوا أَخَذَاتِهِمْ، فَيُقَالُ لَهُ: أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا؟ فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ، فَيَقُولُ: لَكَ ذَلِكَ، وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ، فَقَالَ فِي الْخَامِسَةِ: رَضِيتُ رَبِّ، فَيَقُولُ: هَذَا لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ، وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ، وَلَذَّتْ عَيْنُكَ، فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ، قَالَ: رَبِّ، فَأَعْلاَهُمْ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: أُولَئِكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي، وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا، فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ "، قَالَ: وَمِصْدَاقُهُ فِي كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: " {فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ} [السجدة: ١٧] الْآيَةَ.)). (٢)

وأما المزيد فهو أعظم نعيم أهل الجنة ألا وهو رؤية وجه الملك جل وعلا، عَنْ صُهَيْبٍ الرومي رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ((إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ)). (٣)

فاللهم إنا نسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ فِي غَيْرِ ضَرَّاءٍ مُضِرَّةٍ وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ، اللهُمَّ زَيِّنَّا بِزِينَةِ الْإِيمَانِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ.

---

(١) رواه البخاري (٣٢٤٤) ومسلم (٢٨٢٤)

(٢) رواه مسلم (١٨٩)

(٣) رواه مسلم (١٨١)

ملف العدد

الإسناد من خصائص أهل السنة والجماعة

الإسناد في اللغة

مصدر أَسْنَدَ. تقول: أَسْنَدَ في الجبل: صَعِد فيه. والسَّنَدُ لغةً: مَا ارْتَفَعَ مِنَ الْأَرْضِ. وَقِيلَ مَا قابَلكَ مِنَ الجَبَل وعَلاَ عَنِ السّفْح. (١) وهو كل مَا يُسْتَند إِلَيْهِ ويعتمد عَلَيْهِ من حَائِط وَغَيره. (٢)

الإسناد في الاصطلاح:

قال ابن حجر رحمه الله: هو الطَّرِيقُ الْمُوَصِّلَةُ إِلَى الْمَتْنِ. وقال في مَوْضِعٍ آخَرَ: إِنَّهُ حِكَايَةُ طَرِيقِ الْمَتْنِ. (٣) وقال بعضهم: سلسة الرجال الموصلة للمتن. وسُمِّي سنداً، لاعتماد الحفاظ عليه في الحكم على المتن بالصحة أو الضعف. (٤)

الإسناد من خصائص الأمة الإسلامية

لابد أنْ نعرف أولاً أنَّ الإسناد من خصائص هذه الأمة، بخلاف غيرها من الأمم الأخرى كاليهود والنصارى وغيرهم من الأمم التي تتدين بكلام ليس له خطام ولا زمام، لذلك تجد التناقض الواضح في تلك الكتب التي بين أيديهم، لأنها من صنع البشر، أما هذه الأمة فقد فضّلها الله عز وجل وشرفها باتصال إسنادها في كتابها وسنة نبيها ﷺ قال الله عز وجل: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [الحجر: ٩]

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٤٠٨)

(٢) المعجم الوسيط (١/ ٤٥٤)

(٣) نزهة النظر (ص: ٣٧) و (ص: ١٣٠)

(٤) عناية العلماء بالإسناد وعلم الجرح والتعديل - صالح الرفاعي (ص: ٥)

عن أَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدَ بْنَ أَحْمَدَ قال: بَلَغَنِي أَنَّ اللَّهَ، خَصَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِثَلاَثَةِ أَشْيَاءَ، لَمْ يُعْطِهَا مَنْ قَبْلَهَا: الْإِسْنَادِ وَالْأَنْسَابِ وَالْإِعْرَابِ. (١)

وعن مُحَمَّد بْن حَاتِمِ بْنِ الْمُظَفَّرِ رَحِمَهُ اللَّهُ قال: إِنَّ اللَّهَ أَكْرَمَ هَذِهِ الْأُمَّةَ وَشَرَّفَهَا وَفَضَّلَهَا بِالْإِسْنَادِ، وَلَيْسَ لِأَحَدٍ مِنَ الْأُمَمِ كُلِّهَا، قَدِيمِهِمْ وَحَدِيثِهِمْ، إِسْنَادٌ، وَإِنَّمَا هِيَ صُحُفٌ فِي أَيْدِيهِمْ، وَقَدْ خَلَطُوا بِكُتُبِهِمْ أَخْبَارَهُمْ، وَلَيْسَ عِنْدَهُمْ تَمْيِيزٌ بَيْنَ مَا نَزَلَ مِنَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ مِمَّا جَاءَهُمْ بِهِ أَنْبِيَاؤُهُمْ، وَتَمْيِيزٌ بَيْنَ مَا أَلْحَقُوهُ بِكُتُبِهِمْ مِنَ الْأَخْبَارِ الَّتِي أَخَذُوا عَنْ غَيْرِ الثِّقَاتِ.

وَهَذِهِ الْأُمَّةُ إِنَّمَا تَنُصُّ الْحَدِيثَ مِنَ الثِّقَةِ الْمَعْرُوفِ فِي زَمَانِهِ، الْمَشْهُورِ بِالصِّدْقِ وَالْأَمَانَةِ عَنْ مِثْلِهِ حَتَّى تَتَنَاهَى أَخْبَارُهُمْ، ثُمَّ يَبْحَثُونَ أَشَدَّ الْبَحْثِ حَتَّى يَعْرِفُوا الْأَحْفَظَ فَالْأَحْفَظَ، وَالْأَضْبَطَ، فَالْأَضْبَطَ، وَالْأَطْوَلَ مُجَالَسَةً لِمَنْ فَوْقَهُ مِمَّنْ كَانَ أَقَلَّ مُجَالَسَةً.

ثُمَّ يَكْتُبُونَ الْحَدِيثَ مِنْ عِشْرِينَ وَجْهًا وَأَكْثَرَ حَتَّى يُهَذِّبُوهُ مِنَ الْغَلَطِ وَالزَّلَلِ، وَيَضْبِطُوا حُرُوفَهُ وَيَعُدُّوهُ عَدًّا.

فَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ نِعَمِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ. نَسْتَوْزِعُ اللَّهَ شُكْرَ هَذِهِ النِّعْمَةِ. (٢)

وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ الرَّازِيُّ: لَمْ يَكُنْ فِي أُمَّةٍ مِنَ الْأُمَمِ مُنْذُ خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ أُمَنَاءَ يَحْفَظُونَ آثَارَ الرَّسُولِ إِلَّا فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ. (٣)

وقال ابن حزم رَحِمَهُ اللَّهُ: مَا نَقله الثِّقَة عَن الثِّقَة كَذَلِك حَتَّى يبلغ إِلَى النَّبِي ﷺ يخبر كل وَاحِد مِنْهُم باسم الَّذِي أخبرهُ وَنسبه وَكلهمْ مَعْرُوف الْحَال وَالْعين وَالْعَدَالَة وَالزَّمَان

(١) شرف أصحاب الحديث (ص: ٤٠)
(٢) شرف أصحاب الحديث (ص: ٤٠)
(٣) فتح المغيث (٣/ ٣٣٠)

وَالْمَكَان على أَن أَكثر مَا جَاءَ هَذَا الْمَجِيء فَإِنَّهُ مَنْقُول نقل الكواف إِمَّا إِلَى رَسُول الله ﷺ من طرق جمَاعَة من الصَّحَابَة رضي الله عنهم وَإِمَّا إِلَى الصاحب وَإِمَّا إِلَى التَّابع وَإِمَّا إِلَى أَمَام أَخذ عَن التَّابِع يعرف ذَلِك من كَانَ من أهل الْمعرفَة بِهَذَا الشَّأْن وَالْحَمْد لله رب الْعَالمين وَهَذَا نقل خص الله تَعَالَى بِهِ المسملين دون سَائِر أهل الْمَلَل كلهَا. (١)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وَعِلْمُ الْإِسْنَادِ وَالرِّوَايَةِ مِمَّا خَصَّ اللَّهُ بِهِ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ وَجَعَلَهُ سُلَّمًا إلَى الدِّرَايَةِ. فَأَهْلُ الْكِتَابِ لَا إسْنَادَ لَهُمْ يَأْثُرُونَ بِهِ الْمَنْقُولَاتِ، وَهَكَذَا الْمُبْتَدِعُونَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَهْلُ الضَّلَالَاتِ، وَإِنَّمَا الْإِسْنَادُ لِمَنْ أَعْظَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْمِنَّةَ " أَهْلُ الْإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ، يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الصَّحِيحِ وَالسَّقِيمِ وَالْمُعْوَجِّ وَالْقَوِيمِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْبِدَعِ وَالْكُفَّارِ إنَّمَا عِنْدَهُمْ مَنْقُولَاتٌ يَأْثُرُونَهَا بِغَيْرِ إسْنَادٍ، وَعَلَيْهَا مِنْ دِينِهِمْ الِاعْتِمَادُ، وَهُمْ لَا يَعْرِفُونَ فِيهَا الْحَقَّ مِنْ الْبَاطِلِ. (٢)

متى بدأت المطالبة بالأسانيد

بعد وفاة الرسول ﷺ كان الصحابة رضي الله عنهم يروي بعضهم عن بعض ما سمعوه من النبي ﷺ، وكذلك من جاء بعدهم من التابعين كانوا يروون عن الصحابة، ولم يكونوا يتوقفون في قبول أي حديث يرويه صحابي عن رسول الله ﷺ.

وظل الأمر على هذه الحال حتى وقعت الفتنة التي أدت إلى مقتل الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه، وما تبع ذلك من انقسامات واختلافات، وظهور الفرق والمذاهب المبتدعة، فأخذ الدَّسُ على السنة يكثر شيئاً فشيئاً، وبدأ كل فريق يبحث عن ما يسوغ بدعته من نصوص ينسبها إلى النبي ﷺ، وعندها بدأ العلماء من الصحابة

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٢/ ٦٨)

(٢) مجموع الفتاوى (١/ ٩)

والتابعين يتحرون في نقل الأحاديث، ولا يقبلون منها إلا ما عرفوا طريقها واطمأنوا إلى ثقة رواتها وعدالتهم، وذلك عن طريق الإسناد. (١)، فقد روى الإمام مسلم في مقدمة صحيحه عَنِ **محمد بْنِ سِيرِينَ** رَحِمَهُ اللَّهُ، قَالَ: لَمْ يَكُونُوا يَسْأَلُونَ عَنِ الْإِسْنَادِ، فَلَمَّا وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ، قَالُوا: سَمُّوا لَنَا رِجَالَكُمْ، فَيُنْظَرُ إِلَى أَهْلِ السُّنَّةِ فَيُؤْخَذُ حَدِيثُهُمْ، وَيُنْظَرُ إِلَى أَهْلِ الْبِدَعِ فَلاَ يُؤْخَذُ حَدِيثُهُمْ. (٢)

وابتدأ هذا التثبت والتحري منذ عهد صغار الصحابة الذين تأخرت وفاتهم عن زمن الفتنة، ففي مقدمة الإمام مسلم **عَنْ مُجَاهِدٍ**، قَالَ: جَاءَ بُشَيْرٌ الْعَدَوِيُّ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، فَجَعَلَ يُحَدِّثُ، وَيَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَجَعَلَ ابْنُ عَبَّاسٍ لَا يَأْذَنُ لِحَدِيثِهِ (أي لا يستمع لحديث) وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، مَالِي لَا أَرَاكَ تَسْمَعُ لِحَدِيثِي، أُحَدِّثُكَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَلَا تَسْمَعُ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّا كُنَّا مَرَّةً إِذَا سَمِعْنَا رَجُلاً يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، ابْتَدَرَتْهُ أَبْصَارُنَا، وَأَصْغَيْنَا إِلَيْهِ بِآذَانِنَا، فَلَمَّا رَكِبَ النَّاسُ الصَّعْبَ، وَالذَّلُولَ، لَمْ نَأْخُذْ مِنَ النَّاسِ إِلَّا مَا نَعْرِفُ. (٣)

ثم أخذ التابعون في المطالبة بالإسناد حين فشا الكذب على رسول الله ﷺ يقول أَبو الْعَالِيَةِ: إِنْ كُنَّا نَسْمَعُ الرِّوَايَةَ بِالْبَصْرَةِ عَنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَمْ نَرْضَ، حَتَّى رَكِبْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ، فَسَمِعْنَاهَا مِنْ أَفْوَاهِهِمْ. (٤)

بالإسناد ورواته وحملته حفظ الله لهذه الأمة دينها

---

(١) السنة ومكانتها للسباعي (١/ ٩٢)
(٢) صحيح مسلم (١/ ١٥)
(٣) صحيح مسلم (١/ ١٣)
(٤) رواه الدارمي (٥٨٣)

من مارس أحوال الرواية وأخبار رواة السنة وأئمتها علم أن عناية الأئمة بحفظها وحراستها ونفي الباطل عنها والكشف عن دخائل الكذابين والمتهمين كانت أضعاف عناية الناس بأخبار دنياهم ومصالحها. (١)

عن إسماعيل بن إبراهيم قال: أخذ هارون الرشيد زنديقا فأمر بضرب عنقه، فقال له الزنديق: لم تضرب عنقي يا أمير المؤمنين؟ قال: أريح العباد منك. قال: فأين أنت من ألف حديثٍ وضعتُها على رسول الله ﷺ كلها ما فيها حرف نطق به رسول الله ﷺ! قال: فأين أنت يا عدو الله من أبي إسحاق الفزاري وعبد الله بن المبارك ينخلانها فيخرجانها حرفا حرفا. (٢)

لَمَّا قِيلَ لِابْنِ الْمُبَارَكِ: هَذِهِ الْأَحَادِيثُ الْمَصْنُوعَةُ؟ قَالَ: تَعِيشُ لَهَا الْجَهَابِذَةُ، {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [الْحِجْرِ: ٩]. (٣) والذكر يتناول السنة بمعناه إن لم يتناولها بلفظه، بل يتناول العربية وكل ما يتوقف عليه معرفة الحق. (٤)

قال أبو حاتم محمد بن حبان البستي: ولو لم يكن الإسناد وطلب هذه الطائفة له لظهر في هذه الأمة من تبديل الدين ما ظهر في سائر الأمم، وذلك أنه لم يكن أمة لنبيٍّ قط حفظتْ عليه الدين عن التبديل ما حفظت هذه الأمة، حتى لا يتهيأ أن يزاد في سنة من سنن رسول الله ﷺ ألفٌ ولا واوٌ، كما لا يتهيأ زيادة مثله في القرآن، لحفظ هذه الطائفة السنن على المسلمين، وكثرة عنايتهم بأمر الدين، ولولاهم لقال من شاء ما شاء. (٥)

---

(١) التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل (١/ ٢٣٤)
(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر (٧/ ١٢٧)
(٣) فتح المغيث بشرح ألفية الحديث (١/ ٣١٩)
(٤) التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل (١/ ٢٣٤)
(٥) كتاب المجروحين (١/ ٢٥).

وقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الحاكم: فَلَوْلَا الْإِسْنَادُ وَطَلَبُ هَذِهِ الطَّائِفَةِ لَهُ وَكَثْرَةُ مُوَاظَبَتِهِمْ عَلَى حِفْظِهِ لَدَرَسَ مَنَارُ الْإِسْلَامِ، وَلَتَمَكَّنَ أَهْلُ الْإِلْحَادِ وَالْبِدَعِ فِيهِ بِوَضْعِ الْأَحَادِيثِ، وَقَلْبِ الْأَسَانِيدِ، فَإِنَّ الْأَخْبَارَ إِذَا تَعَرَّتْ عَنْ وُجُودِ الْأَسَانِيدِ فِيهَا كَانَتْ بُتْرًا. **ثم ساق بإسناده** إلى عُتْبَة بْن أَبِي حَكِيمٍ أَنَّهُ: كَانَ عِنْدَ إِسْحَاقَ بْنِ أَبِي فَرْوَةَ، وَعِنْدَهُ الزُّهْرِيُّ، قَالَ: فَجَعَلَ ابْنُ أَبِي فَرْوَةَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، **فَقَالَ لَهُ الزُّهْرِيُّ**: قَاتَلَكَ اللَّهُ يَا ابْنَ أَبِي فَرْوَةَ مَا أَجْرَأَكَ عَلَى اللَّهِ لَا تُسْنِدُ حَدِيثَكَ؟ تُحَدِّثُنَا بِأَحَادِيثَ لَيْسَ لَهَا خُطُمٌ، وَلَا أَزِمَّةٌ. (١)

أهمية الإسناد عند أهل السنة

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ رحمه الله، قَالَ: إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ دِينٌ، فَانْظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَ دِينَكُمْ. (٢)

وقَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ أيضاً: مَثَلُ الَّذِي يَطْلُبُ أَمْرَ دِينِهِ بِلاَ إِسْنَادٍ كَمَثَلِ الَّذِي يَرْتَقِي السَّطْحَ بِلاَ سُلَّمٍ. (٣)

وقال: الْإِسْنَادُ مِنَ الدِّينِ، وَلَوْلَا الْإِسْنَادُ لَقَالَ مَنْ شَاءَ مَا شَاءَ. (٤)

قال الشَّافِعِيُّ رحمه الله: مَثَلُ الَّذِي يَطْلُبُ الْحَدِيثَ بِلاَ إِسْنَادٍ كَمَثَلِ حَاطِبِ لَيْلٍ.

وَعَنِ الثَّوْرِيِّ قَالَ: الْإِسْنَادُ سِلاَحُ الْمُؤْمِنِ، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ مَعَهُ سِلاَحٌ فَبِأَيِّ شَيْءٍ يُقَاتِلُ؟. (٥)

قَالَ ابْنُ حَجَرٍ رحمه الله: وَلِكَوْنِ الْإِسْنَادِ يُعْلَمُ بِهِ الحديث الْمَوْضُوعُ مَنْ غَيْرِهِ كَانَتْ مَعْرِفَتُهُ مِنْ فُرُوضِ الْكِفَايَةِ. (٦)

---

(١) معرفة علوم الحديث للحاكم (ص: ٦)

(٢) صحيح مسلم (١/ ١٤)

(٣) الكفاية للخطيب البغدادي (ص: ٣٩٣)

(٤) صحيح مسلم (١/ ١٥)

(٥) فتح المغيث بشرح ألفية الحديث (٣/ ٣٣١)

(٦) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للقاري (١/ ٢٨٢)

فأهل السنة والجماعة، الطائفة المنصورة الذين اختصهم الله لحفظ هذا الدين والذبِّ عن حياضه، حفظوا الأسانيد ونخلوها وبينوا صحيحها من سقيمها، لذلك فهم أهل الحديث والأثر.

فهذا إمام أهل السنة أَحْمَد بْن حَنْبَلٍ، وَذَكَرَ، حَدِيثَ النَّبِيِّ ﷺ: ((تَفْتَرِقُ الْأُمَّةُ عَلَى نَيِّفٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا فِرْقَةً)). ، فَقَالَ: إِنْ لَمْ يَكُونُوا أَصْحَابَ الْحَدِيثِ، فَلاَ أَدْرِي مَنْ هُمْ؟!. (١)

بخلاف غيرهم من أهل البدع والضلال الذين أدخلوا في الدين ما ليس منه، وكذبوا على الله ورسوله، وعلى رأس هذه الفرق، فرقة الرافضة الذين يتدينون بالكذب ن وحالهم لا يخفي على أحد من أهل البصيرة.

فمن أشهر أسانيد الشيعة، ما أخرجه الكليني في الكافي حيث قال: قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: عن عفير حمار رسول الله ﷺ أنه كلَّم رسول الله ﷺ فقال: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يا رسول الله، إِنَّ أَبِي حَدَّثَنِي عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ كَانَ مَعَ نُوحٍ فِي السَّفِينَةِ فَقَامَ إِلَيْهِ نُوحٌ فَمَسَحَ عَلَى كَفَلِهِ ثُمَّ قَالَ: يَخْرُجُ مِنْ صُلْبِ هَذَا الْحِمَارِ حِمَارٌ يَرْكَبُهُ سَيِّدُ النَّبِيِّينَ وَخَاتَمُهُمْ. فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَنِي ذَلِكَ الْحِمَارَ. (٢)

ثم انظر إلى الصوفية الذين تلقوا دينهم من الخيالات والمنامات، ويدَّعون أن قلوبهم تحدثهم عن ربهم، ويقولون عن أسانيدنا: إنها ميت عن ميت، وأسانيدهم: عن الحي الذي لا يموت، حدثني قلبي عن ربي وكأنها برقية، الخط الساخن مفتوح نتلقى عن الله مباشرة.

قال ابن الجوزي رحمه الله: وكل من رام الحقيقة فِي غير الشريعة فمغرور مخدوع، وإن سمعوا أحدا يروي حديثا قالوا: مساكين أخذوا علمهم ميتا عَنْ ميت وأخذنا علمنا

---

(١) شرف أصحاب (ص: ٢٥)

(٢) الكافي (١- ٢٣٧)

عَنِ الحي الذي لا يموت، فمن قَالَ: حَدَّثَنِي أبي عَنْ جدي، قلت: حَدَّثَنِي قلبي عَنْ ربي. فهلكوا وأهلكوا بهذه الخرافات قلوب الأغمار. (١)

قال ابن عقيل رحمه الله: ومن قَالَ حَدَّثَنِي قلبي عَنْ ربي فقد صرَّح أنه غنيٌّ عَنِ الرسول، ومن صرح بذلك فقد كفر، فهذه كلمة مدسوسة فِي الشريعة تحتها هذه الزندقة. (٢)

قَالَ ابن القيم رحمه الله: وَأَمَّا مَا يَقُولُهُ كَثِيرٌ مِنْ أَصْحَابِ الْخَيَالَاتِ وَالْجَهَالَاتِ: حَدَّثَنِي قَلْبِي عَنْ رَبِّي، فَصَحِيحٌ أَنَّ قَلْبَهُ حَدَّثَهُ، وَلَكِنْ عَمَّنْ؟ عَنْ شَيْطَانِهِ، أَوْ عَنْ رَبِّهِ؟. (٣)

قال ابن القيم رحمه الله: وهؤلاء الجهال يرى أحدهم أدنى شيء فيحكم هواجسه وخواطره على الكتاب والسنة، ولا يلتفت إليهما، ويقول: حدثني قلبي عن ربى، ونحن أخذنا عن الحى الذى لا يموت، وأنتم أخذتم عن الوسائط، ونحن أخذنا بالحقائق، وأنتم اتبعتم الرسوم، وأمثال ذلك من الكلام الذى هو كفر وإلحاد، وغاية صاحبه أن يكون جاهلا يعذر بجهله، **حتى قيل لبعض هؤلاء:** ألا تذهب فتسمع الحديث من عبد الرزاق؟ فقال: ما يصنع بالسماع من عبد الرزاق من يسمع من الملك الخلاق؟. (٤)

وانظر إلى أهل الكلام والمعتزلة الذين يقدسون العقول ويحكمونها في المنقول، ويَقُولُونَ لِقَضَايَاهُمُ الْبَاطِلَةِ: قَوَاطِعُ عَقْلِيَّةٌ وَبَرَاهِينُ يَقِينِيَّةٌ، وَيَقُولُونَ لِنُصُوصِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ: ظَوَاهِرُ سَمْعِيَّةٌ لَا تُفِيدُ الْيَقِينَ. (٥)

---

(١) تلبيس إبليس (ص: ٣٢٩)

(٢) تلبيس إبليس (ص: ٣٣٠)

(٣) مدارج السالكين (١/ ٦٤)

(٤) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (١/ ١٢٣)

(٥) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (ص: ٥٩٨)

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: وَمَنْ أَحَالَكَ عَلَى غَيْرِ (أَخْبَرَنَا) وَ (حَدَّثَنَا) فَقَدْ أَحَالَكَ: إِمَّا عَلَى خَيَالِ صُوفِيٍّ، أَوْ قِيَاسِ فَلْسَفِيٍّ. أَوْ رَأْيِ نَفْسِيٍّ. فَلَيْسَ بَعْدَ الْقُرْآنِ وَ(أَخْبَرَنَا) وَ (حَدَّثَنَا) إِلَّا شُبَهَاتُ الْمُتَكَلِّمِينَ. وَآرَاءُ الْمُنْحَرِفِينَ، وَخَيَالَاتُ الْمُتَصَوِّفِينَ، وَقِيَاسُ الْمُتَفَلْسِفِينَ. وَمَنْ فَارَقَ الدَّلِيلَ، ضَلَّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ. وَلَا دَلِيلَ إِلَى اللَّهِ وَالْجَنَّةِ، سِوَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ. وَكُلُّ طَرِيقٍ لَمْ يَصْحَبْهَا دَلِيلُ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ فَهِيَ مِنْ طُرُقِ الْجَحِيمِ، وَالشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ. (١)

بُغضُ أهل البدع للحديث ورواة الحديث

قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِيَّاكُمْ وَالرَّأْيَ؛ فَإِنَّ أَصْحَابَ الرَّأْيِ أَعْدَاءُ السُّنَنِ أَعْيَتْهُمُ الْأَحَادِيثُ أَنْ يَعُوهَا وَتَفَلَّتَتْ مِنْهُمْ أَنْ يَحْفَظُوهَا فَقَالُوا فِي الدِّينِ بِرَأْيِهِمْ. (٢)

فالشيعة وغيرهم من فرق الضلال يبغضون أهل السنة وأهل الأثر أشد البغض، وعلى رأسهم الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.

عَنْ أَبِي زُرْعَةَ الرَّازِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ قَالَ: إِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَنْتَقِصُ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَاعْلَمْ أَنَّهُ زِنْدِيقٌ ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ حَقٌّ، وَالْقُرْآنَ حَقٌّ، وَمَا جَاءَ بِهِ حَقٌّ، وَإِنَّمَا أَدَّى إِلَيْنَا ذَلِكَ كُلَّهُ الصَّحَابَةُ، وَهَؤُلَاءِ يُرِيدُونَ أَنْ يَجْرَحُوا شُهُودَنَا ؛ لِيُبْطِلُوا الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ. وَالْجَرْحُ بِهِمْ أَوْلَى، وَهُمْ زَنَادِقَةٌ. (٣)

وعن أَحْمَدَ بْنِ سِنَانٍ قال: لَيْسَ فِي الدُّنْيَا مُبْتَدِعٌ إِلَا وَهُوَ يُبْغِضُ أَهْلَ الْحَدِيثِ وَإِذَا ابْتَدَعَ الرَّجُلُ بِدْعَةً نُزِعَتْ حَلَاوَةُ الْحَدِيثِ مِنْ قَلْبِهِ. (٤)

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٤٣٩)

(٢) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ١٠٤٢)

(٣) فتح المغيث بشرح ألفية الحديث (٤/ ٩٥)

(٤) ذم الكلام وأهله (٢/ ٧٢)

وعن أَبِي نَصْرِ بْنَ سَلاَمٍ الْبُخَارِيَّ الْفَقِيهَ: لَيْسَ شَيْءٌ أَثْقَلَ عَلَى أَهْلِ الإِلْحَادِ وَلَا أَبْغَضَ إِلَيْهِمْ مِنْ سَمَاعِ الْحَدِيثِ وَرِوَايَتِهِ بِإِسْنَاده. (١)

وعَنْ أَيُّوبَ السَّخْتِيَانِيِّ أَنَّهُ قَالَ: إِذَا حَدَّثْتَ الرَّجُلَ بِالسُّنَّةِ فَقَالَ دَعْنَا مِنْ هَذَا حسْبُنَا الْقُرْآنُ فَاعْلَمْ أَنَّهُ ضَالٌّ. (٢)

وعن مُحَمَّد بْن عَبْدِ اللَّهِ الْحَافِظُ قَالَ: سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ إِسْحَاقَ بْنِ أَيُّوبَ الْفَقِيهَ الصَّبْغِيَّ يُنَاظِرُ رَجُلاَ فَقَالَ: حَدَّثَنَا فُلاَنٌ. . قَالَ لَهُ الرَّجُلُ: **دَعْنَا مِنْ حَدَّثَنَا إِلَى مَتَى حَدَّثَنَا.** فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ: قُمْ يَا كَافِرُ فَلاَ يَحِلُّ لَكَ أَنْ تَدْخُلَ دَارِي بَعْدُ. ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَيْنَا فَقَالَ: مَا قُلْتُ لأَحَدٍ قَطُّ لَا تَدْخُلْ دَارِي غَيْرَ هَذَا. (٣)

وعن قُتَيْبَةَ بْنَ سَعِيدٍ قال: إِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ، يُحِبُّ أَهْلَ الْحَدِيثِ، مِثْلَ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ الْقَطَّانِ، وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَهْدِيٍّ، وَأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ وَإِسْحَاقَ بْنِ رَاهَوَيْهِ، وَذَكَرَ قَوْمًا آخَرِينَ، فَإِنَّهُ عَلَى السُّنَّةِ وَمَنْ خَالَفَ هَذَا فَاعْلَمْ أَنَّهُ مُبْتَدِعٌ. (٤)

وعن بَقِيَّة بن الوليد، قَالَ: قَالَ لِي الْأَوْزَاعِيُّ: يَا أَبَا يَحْمَدَ مَا تَقُولُ فِي قَوْمٍ يَبْغَضُونَ حَدِيثَ نَبِيِّهِمْ؟ قُلْتُ: قَوْمُ سَوْءٍ قَالَ: لَيْسَ مِنْ صَاحِبِ بِدْعَةٍ تُحَدِّثُهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِخِلاَفِ بِدْعَتِهِ بِحَدِيثٍ إِلَّا أَبْغَضَ الْحَدِيثَ. (٥)

قال ابن تيمية رحمه الله: فَإِنَّ الْقَدْحَ فِي خَيْرِ الْقُرُونِ الَّذِينَ صَحِبُوا الرَّسُولَ قَدْحٌ فِي الرَّسُولِ ﷺ كَمَا قَالَ مَالِكٌ وَغَيْرُهُ مِنْ أَئِمَّةِ الْعِلْمِ: هَؤُلَاءِ طَعَنُوا فِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ

---

(١) ذم الكلام وأهله (٢/ ٧٣)

(٢) ذم الكلام وأهله (٢/ ٥٦)

(٣) ذم الكلام وأهله (٢/ ٧١)

(٤) شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي (ص: ٧١)

(٥) شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي (ص: ٧٣)

ﷺ إِنَّمَا طَعَنُوا فِي أَصْحَابِهِ لِيَقُولَ الْقَائِلُ: رَجُلُ سَوْءٍ كَانَ لَهُ أَصْحَابُ سَوْءٍ وَلَوْ كَانَ رَجُلاً صَالِحًا لَكَانَ أَصْحَابُهُ صَالِحِينَ. وَأَيْضًا فَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ نَقَلُوا الْقُرْآنَ وَالْإِسْلَامَ وَشَرَائِعَ النَّبِيِّ ﷺ وَهُمْ الَّذِينَ نَقَلُوا فَضَائِلَ عَلِيٍّ وَغَيْرِهِ فَالْقَدْحُ فِيهِمْ يُوجِبُ أَنْ لَا يُوثَقَ بِمَا نَقَلُوهُ مِنْ الدِّينِ وَحِينَئِذٍ فَلَا تَثْبُتُ فَضِيلَةٌ؛ لَا لِعَلِيٍّ وَلَا لِغَيْرِهِ. (١)

وقال الإمام أَبو حاتم الرازي رحمه الله: عَلامةُ أَهلِ البدَعِ الوَقيعةُ في أَهلِ الأَثَر، وعَلامَةُ الزنادِقَة تَسْميَتُهُم أَهلَ الأَثَرِ حَشوية، يُريدونَ إِبْطالَ الآثار، وَعَلامَةُ الجهمية تَسْميَتُهم أهلَ السنة مُشبهة، وَعَلامَةُ القَدَرية تَسْميَتُهم أَهلَ السنة مُجْبِرَة، وعَلامَةُ المرجئَة تَسْميَتُهم أَهلَ السنة مُخالفة وَنُقصانية، وَعَلامَةُ الرافضَة تَسْمِيَتُهم أَهلَ السُّنَّة ناصِبَة، ولا يَلْحقُ أَهل السنة إِلَّا اسْم وَاحِد، ويَسْتَحِيلُ أَنْ تَجْمَعَهُمْ هَذهِ الأَسْماء. (٢)

ورَوَى أَبُو عُرْوَةَ الزُّبَيْرِيُّ مِنْ وَلَدِ الزُّبَيْرِ قال: كُنَّا عِنْدَ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ، فَذَكَرُوا رَجُلاً يَنْتَقِصُ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَرَأَ مَالِكٌ هذه الآية "مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ" حَتَّى بَلَغَ "يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ". فَقَالَ مَالِكٌ: مَنْ أَصْبَحَ مِنَ النَّاسِ فِي قَلْبِهِ غَيْظٌ عَلَى أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَدْ أَصَابَتْهُ هَذِهِ الْآيَةُ، ذَكَرَهُ الْخَطِيبُ أَبُو بَكْرٍ. قُلْتُ: لَقَدْ أَحْسَنَ مَالِكٌ فِي مَقَالَتِهِ وَأَصَابَ فِي تَأْوِيلِهِ. فَمَنْ نَقَّصَ وَاحِدًا مِنْهُمْ أَوْ طَعَنَ عَلَيْهِ فِي رِوَايَتِهِ فَقَدْ رَدَّ عَلَى اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَبْطَلَ شَرَائِعَ الْمُسْلِمِينَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: { مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ}. (٣)

الصحابة كلهم عدول عند أهل السنة

(١) مجموع الفتاوى (٤/ ٤٢٩)

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ٢٠١)

(٣) تفسير القرطبي (١٦/ ٢٩٧)

قال الخطيب البغدادي رحمه الله: عَدَالَةَ الصَّحَابَةِ ثَابِتَةٌ مَعْلُومَةٌ بِتَعْدِيلِ اللَّهِ لَهُمْ وَإِخْبَارِهِ عَنْ طَهَارَتِهِمْ، وَاخْتِيَارِهِ لَهُمْ فِي نَصِّ الْقُرْآنِ. (١)

قال الحافظ الذهبي رحمه الله: فَأَمَّا الصَحَابَةُ رضي الله عنهم فَبِسَاطُهُمْ مَطْوِيٌّ وَإِنْ جَرَى مَا جَرَى. . . إِذْ عَلَى عَدَالَتِهِمْ وَقَبُولِ مَا نَقَلُوهُ العَمَلَ، وَبِهِ نَدِينُ اللهَ تَعَالَى. (٢)

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: وَالصَحَابَةُ كُلُّهُمْ عُدُولٌ عِنْدَ أَهْلِ السُنَّةِ وَالجَمَاعَةِ. ثم قال: وَقَوْلِ المُعْتَزِلَةِ: الصَحَابَةُ عُدُولٌ إِلاَّ مَنْ قَاتَلَ عَلِيًّا قَوْلٌ بَاطِلٌ مَرْذُولٌ وَمَرْدُودٌ. ثم قال: وَأَمَّا طَوَائِفُ الرَوَافِضِ وَجَهْلِهِمْ، وَقِلَّةَ عَقْلِهِمْ، وَدَعَاوِيهِمْ أَنَّ الصَحَابَةَ كَفَرُوا إِلاَّ سَبْعَةَ عَشَرَ صَحَابِيًّا - وَسَمَّوْهُمْ - فَهُوَ مِنَ الهَذَيَانِ بِلاَ دَلِيلٍ. (٣)

---

(١) الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي (ص: ٤٦)

(٢) الرواة الثقات المتكلم فيهم بما لا يوجب ردهم للذهبي (ص: ٢٤)

(٣) الباعث الحثيث إلى اختصار علوم الحديث (ص: ١٨٢)

المحتويـــات

شواهد المحبة ٢
محمد رسول الله ﷺ ٥
حق النبي ﷺ على أمته ١٨
قبسات من مشكاة النبوة " دعاءٌ جامعٌ لسعادة الدارين " ٢٦
قل هو من عند أنفسكم ٣٨
خطورة التشبه ٤٩
وقفات مع وصايا لقمان لابنه ٦٠
منزلـة الشـكر ٧٤
تأملات في آيات، مع بعض آيات سورة ق ٨٥
ملف العدد الإسناد من خصائص أهل السنة والجماعة ٩٩